

المسحاة

مجلة

المجلد الثاني عشر
الجزء الأول



إهداء من

الجديد

تابعوا ...

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر



WWW.ALUKAH.NET

﴿ المجلد الثاني عشر ﴾

١

﴿ الجزء الاول ﴾

بوق الحسنة من ينادون من بوق الحسنة قد أوتوا
خبراً كثيراً وبليداً عسيراً إلا أولاً الألباب

المجلد

١٣١٥

فقر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنفار الطريق ﴾

﴿ مصر — الأحد ٣٠ المحرم ١٣٢٧ — ٢١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩ ﴾

فاتحة السنة الثانية عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، ولا
جعل علينا فيما شرعه لنا من الدين حرجاً ، بل جعل مع السريسرا ومع
الشدة فرجاً ، ومن يق الله بأقامة سننه يجعل له فرجاً ، ان الله بالغ
أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً

والصلاة والسلام على من بعث الى الايض والأحر ، وقام بأمر
ربه ١٥ : ٩٤ فأصدع بما تؤمر ، ففكر به قومه ليثبتوه أو يقتلوه أو
يخرجوه ، فهاجر من وطنه ووطنهم قبيوه وحاربوه ، حتى شجروا

رأسه ، وكسروا سته ، وعذبوا من اتبعه من ضغفاء المؤمنين ، فصبر وصبروا
حتى كانت المأقبة للميتين ، ٣٧ : ١١٦ وَنَصَرْتَهُمْ فَكَانُوا مِنْهُمْ الْفَالِينَ •
وبعد فإنا نقص في فأمة منار هذه السنة وهي الثانية عشرة له ،
نبأ من تاريخه الصريح ، الذي كنا نشر اليه بالتلويح ، تذكيراً وتفصيلاً
للقراء السابقين ، وعبرة للقراء اللاحقين ، وأخص الثمانيين الذين طالما
ارتعدت فرائضهم عند ذكر المنار ، حتى ربما كنى عنه محبوه بلفظ المنار ،
أنشئ المنار في أواخر شوال سنة ١٣١٥ وكان صحيفة ذات ثمان
صفحات ، وقد بينت في المدد الأول منه الغرض من انشائه ، ومذهبه
في الإصلاح الديني والاجتماعي والأدبي ، وسكت عن بيان منهاجه في
الإصلاح السياسي ، مع التصريح بنزعة الثمانية ، وخدمته للدولة الطيبة ،
وانما أسكتني عن ذلك الأستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى)
فقد كنت استشرته في انشائه ، وقرأت له تلك الفأمة قبل طبعا ،
وكان فيها ان من مقاصده بيان حقوق الامة على الامام ، وحقوق الامام
على الامة ، فاستحسن كل ما أودعته تلك الفأمة الا هذه الكلمة ،
فاقترح عليّ ان أحذفها ، ولم يراجعني في شيء غيرها ، وكان مما قاله في
ذلك : « ان المسلمين ليس لهم امام في هذا العصر غير القرآن » ، وان الخوض
في السياسة الثمانية فتنة يمتشي ضررها ولا يرجى نفعها ، وان الناس هنا
لا يحبون ان يسموا في السلطان والدولة الا ما يشتهون ، ومصر ليس فيها
سياسة ، والمسلمون لا ينهضون الا بالترية والتعليم ، فلا تخطط السياسة بمقاصدك
الإصلاحية لكلا تقسدها عليك ، فانها ما دخلت في عمل الا وأفسدته
هذا معني ما قاله ، وقد حذفت تلك الكلمة استجابة له ، وليت

السياسة تركتني كما تركتها ، أو سالتني كما سالتها ، ولكن أبي عليها
الخرق والفتور ، الا ان تجاهد مني غير عدو ، فأذنتي بالحرب ، وأذنتي
في الأهل والصحب ، حتى ألتجأني اعتداؤما على حقيقتي ، الى التقصي
في استعراف ظلمها لامي ، ثم الى الدخول في زمر المجاهدين ، لرؤسائها
واعوانها الظالمين ، ٥١:٥٥ ؛ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَتَّبِعِينَ
جئت مصر وأنا أحسنُ الظنِّ بالسلطان ، دون من يحيط به من
الوزراء والقرناء والخصيان ، وأسئ الظن بطلاب الإصلاح من الاحرار ،
واعقد أنهم انما يطلبون الرتب والالوسمة والدينار ، وقد كنت أصرح
بهذا وذلك في السنة الاولى مع المطالبة بالاصلاح ، والشكوى من عاقبة
الظلم والافساد ، وما كنت لا قول الا ما اعتقد ، وأبث الا ما أعلم وأجد ،
منع رشيد بك والي بيروت (أحد أركان الافساد في حكومة
الاستبداد) توزيع المدد الثاني من السنة الاولى وأرسل البرقيات الى
جميع أنحاء الولاية بوجوب جمع ما وزع منه واحرقه ، ولم يكن فيه
شيء مما كانت تنكره الحكومة في ذلك الوقت ، وانما فعل ذلك مرضاة
للشيخ أبي الهدى أفندي الصيادي ، الذي كان يعلم اني من حزب السيد
جمال الدين الأفغاني ، فهو الذي أوعز الى الوالي بأن يصادر المنار ، كما أوعز
بذلك الى بدرية باشا متصرف طرابلس الشام ، فصار كل منهما يمنع
بعض الاهداد ، التي يؤذن بتوزيعها في الاستانة وغيرها من البلاد ، حتى
هبطت الارادة السنية ، وصدرت الاوامر العلية ، بمنعه من جميع الولايات
العثمانية ، وذلك قبل ان يتم له نصف سنة !

لم يشف هذا غيظ أبي الهدى أفندي فأوعز الى بدرية باشا واهرائه

قائمة السنة الثانية عشرة (التأريج أم ١٢)

بأن يؤذوا والدي واخوتي، وينذروا عشيرتي وذوي مودتي، ولما رأى
بدرى باشا أن مجلس إدارة اللواء، لا يواظقه على ما يقصد من الإيذاء،
وأن الإيذاء يغير يد الحكومة، لا يشبع تلك النفس الضارية المنهومة،
أبغى هو وشيعته للسيد الوالد (رحمة الله تعالى) نواجز الشر، ثم أشخصوه
إلى مصر، ليحتملي على مشايمة أبي الهدى، وعدم المبالاة بمن دونه من
الورى، وبعد طول المذاكرة رضي مني بأن أكتب إليه كتاباً مني أين
له فيه أنه ليس من قصدي الطعن فيه وأنني لا أريد إلا الإصلاح ما
استطعت، وكتب هو إليه كتاباً آخر، فاعلم أن جاءنا منه الجواب
وهذا نص ما كتبه إلي بخطه:

الحمد لله وحده

من الفقير إليه تعالى محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي عني عنه إلى
جناب الأديب الكاتب الشيخ رشيد رضا أفندي كان الله لنا وله والمسلمين.
وصلني قبل كتابكم وفي هذه المرة أخذت كتاباً من والدكم وكتبت له
الجواب في يوم اليوم فكن ريض الخاطر طيب البال نعم أني أرى جريدتك
طالعة يشقشق المتأففين جمال الدين المنقطة وقد تدرجت به إلى الحسينية
التي كان يرمها زورا وقد ثبت في دوائر الدولة رسماً أنه ما زلنا من
من أجلاف الشيعة بعد المخابرة مع سفارة إيران بدار السعادة والسفارة
السليمة في إيران وهو حي وما قدر على الدفاع، وهو مارق من الدين كما
سرق السهم من الرمية، وأراك تملأ جريدتك كل يوم باستفاد الصوفية
بأبحاث جليها ما هي من طريقهم وكذا أولتها وفي بعضها أنت محق بلا شبهة
إلا أنك تعلم أن العلماء الآن ما هم كالشافعي وأبي حنيفة وعطاء السلف

٥

فاتحة السنة الثانية عشرة

(المراجع ١٢ م)

تمسك بالشرع ولاعامة الأمة كالعامة الاول فلو انصفت وخدمت دينك
بغير هذه المواضع واذا ألزمتك طورك وقلمك بالتطرق فهناك تقتد
أعمال الاعم السائرة من غير الاسلام انتقاداً عقلياً يستيل لك القلوب ويرضي
عنك ربك لكان أولى، ولما طالب قلبنا لك نصحنالك والموعود الله في كل غاية
والسلام م ١٩ رجب سنة ١٦

ومن هذا الكتاب يعلم أن ما كان يؤلمه من النار محصور في أمرين
أحدهما التوبه بالسيد جمال الدين الاقناني وذكره بقلب «السيد» - ولم
أكن أمنح أبا الهدى هذا اللقب لأنني لا أعتقد شرفه - وثانيهما انتقاد
خرافات أهل الطريق التي جعلها أساس مجده، ولكنه كان يوم السلطان
أن المنار لم ينشأ الا لأجل الطمن فيه كما يعلم مما يأتي. فكتبت اليه كتاباً بيئت
فيه انني لم اكتب ولا اكتب الا ما اعتقد أنه نافع وذكرت له رأيي في
السيد جمال الدين فلم يلبث ان أجابني بهذا الكتاب بخطه:

ولدنا الروحاني الأديب الأريب الفاضل الشيخ محمد رشيد افندي

آل رضا المحترم

أدعولكم ولوالدكم بالخير والعافية ودوام التوفيق، ووجدت منكم من
تحرير انكم المرسلة والمأمول من عناية الله وفضله أن يديم لكم التوفيقات فيما
يرضيه وقد حصل الآن قيد رؤس أدركه من مراتب الطيبة الشريفة لك
فهي ان شاء الله أول الفيوضات ولا يمنحن لبالك ان ذلك لنواش هذه الدنيا
بل انني أعجبني قولك واطمان قلبي لصدقك وبراءتك وارجو الله اصلاح
شأنك في الله كما هو مطوي في كل من له للجناب الرفيع نسبة . وأوصي
رفيقك بالثبات والاستقامة على ما يبيض الوجه حالة القدوم على الله

٦

قائمة السنة الثانية عشرة

(التاريخ ١٢م)

ورسوله الأَعْظَم صلى الله عليه وسلم^(١) وبحوله تعالى عند محيئكم البنا واثقاكم
عن هذه العوارض الحاضرة الزائدة التي لا تنطبق على مجد النسبة نوعاً ما
وان كان قصدكم حسناً فهناك تبليج فيكم أنوار نسبتكم بالتحقق في
الطريق الأقوم تحت نظر سرّ الوجود صلى الله عليه وسلم وتكون اذن
خدمتكم للدين والمسلمين على النهج الشرعي الصحيح الأمين ومنى لكم
الدعاء وهو المطلوب منكم والسلام

كتبه محمد أبو الهدى

١٦ شعبان سنة ١٦

عني عنه

قرأت هذا فيادوت الى ارسال كتاب اليه جزمت فيه بأنني لا أقبل
الرتبة العلمية التي طلبها لي واني من الذين يرغبون عن الرتب والوسمة
فيجب الرجوع عن طلبها واني لا استبدل بخدمة المنار لليلة خدمة أخرى
مهما كان مظهرها وفائدها واني لا اطلب من الاستانة الا الاذن بدخول
المنار لسوريا وغيرها من ولايات الدولة . واعدته في هذا الكتاب او فيما قبله
بترك التنويه بالسيد جمال الدين مادام المنار مأذونا له بدخول بلاد الدولة .
وسكنت على ذلك وسكتنا

وبعد ثلاثة أشهر وأيام من هذه المكاتبة كتب ناظر خارجية انكلترا
الى لورد كرومر عميد دولته في مصر يقول ان سفيرهم في الاستانة كتب
اليه يخبره ان رئيس كتاب السلطان جاءه وقال له ان في مصر جريدتين
معاديتان لشخص السلطان وهما المنار والقانون الاساسي وان الخديو ومختار

(١) يزيد برفقي عبد الحليم حلمي اقدي مراد وكان يومئذ مديراً لاشغال المنار

وكان سافر الى الاستانة قبل ذلك وبلغني انه اجتمع بابي الهدى ولم أدر ماذا كان بينها
ولم يكن تلك السفر علاقة بالمنار

باشا النازي يساعدانها وان السلطان يرغب اليه بأن يسمى لدى حكومته بإبطال هاتين الجريدتين ويتخذ ذلك يدا يكافئه السلطان عليها ١١ فأخبر اللورد الأمير بذلك فجب أشد الجب لانه لم يكن هو ولا مختار باشا بمساعد للنار ولا للقانون الاساسي بل لم يكن يعرف من مشرب النار الا ما أخبره الاستاذ الامام من أنه جريدة دينية أدبية.

سألني الأمير عن ذلك سرا في يوم عيد الاضحى (سنة ١٣١٦) عند ما أردت الخروج مع الطاء من مقابلة التهته له باليد وأمرني بأن أذهب الى مقابلة أحمد شفيق بك وكان رئيس القلم التركي (وهو اليوم أحمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوي) فذهبت من حضرة الأمير الى غرفته وكان يقرأ النار ويعلم انه ليس فيه تحمل على السلطان بل لا يخلو من مدح له، ورأيت جازما بأن أبا الهدى هو الذي سعى عند السلطان هذه السعاية وضرب سهامه فيها الى عدوين من أعدائه : الأمير ومختار باشا النازي . فأخبرته بأن بيني وبين أبي الهدى سلا و ذكرت له هذين الكتابين فطلبهما مني لأجل ان محتج بهما قلت له ان الرسالة بالامانة وانني لا اجيز لنفسي ان أظهرهما مادمت أعلم أن اظهارهما يؤذي بتفسير السلطان عليه، واستدل لاهما على خيائه له، اذ يجمعه ترسا يدافع به عن نفسه. وأما اللورد فقد جرى في المسألة على ما تعود من المحافظة على حرية الصحافة ولكن بعد البحث ومعرفة الحقيقة كرّاهوان أبي الهدى على أهلي كرة ثانية وكانت الدولة دولتهم فضربوا احدا خوتي وهو خارج من طرابلس الى القلمون ليلا وسرقوا فرسا لنا وحاولوا اخذ مسجدنا منا وأغروا جريدة طرابلس الشام بالظمن في النار والتمسوا لها المساعدة من كل من يكتب في طرابلس حتى اصعدتني

فانطورت الى كتابة مقال عنوانه « مؤاخذه الملاء » (١٩٩٩ ص ١٠٥)
 اسكتها به عن التجدي في الوطن ، ولكن الستهم لم تسكت عن السب
 واللعن ، الا بعد ان أدبل منهم ، وخضدت شوكتهم وذهبت ريحهم ، وخرج
 يدري باشا من طرابلس مذموم مدموماء ، وبدلنا به عبدالغني باشا المابد وكان لنا
 وليا حمياء ، بل غلب قود عزت باشا المابد على قود الشيخ أبي الهدي في جميع
 البلاد السورية ، فاوداد انتشار النار فيها وان لم يرسل الا في البرد الاجبية ، وأمن
 الامل والقراء على اتسهم طاقه من الزمان ، حتى كان منذ أربع سنين ما كان ،
 ذلك ما كان في السنة الاولى والثانية من سني النار . وفي أواخر الثانية
 وأول الثالثة صار يتردد علينا بعض جواسيس ممدوح باشا ناظر الداخلية في
 الاستانة ويعرض علينا الرتب والوظائف اللاتقة اذا نحن تركنا النار ،
 وغادرنا هذه الديار ، فلو شئت ان اكون يومئذ قاضيا أو مفتيا في الشام
 أو بيروت أو آخذ مرتبا شهريا عظيميا من الدولة لقطت ، وقد قبل عبدالحليم
 افندي حلمي أن يترك مصر ويكون معاونا لناظر التنوس في بيروت بمرتب
 كرتب الناظر فقال ذلك على انه لم يكن كاتباً ولا سياسياً ولا ذا شأن في
 النار وقد بلغتني وقتئذ أن ذلك الجاسوس اخذ من ممدوح باشا ٨٠٠ ليرة
 عثمانية سماها ثمناً لمطبعة النار ولم يكن للنار يومئذ مطبعة تساوي ٨٠٠ قرشاً
 وفي أثناء السنة الرابعة غضب علي أمير هذه البلاد وآذني صديقي
 حسن باشا حاصم (وكان رحمه الله يومئذ رئيس التشرقات) بأنه لا يرضى ان
 أقبله بعد وكان يقول لي قبل ذلك إن لك ان تجيء الي في قصر عابدين
 أو قصر القبة متى شئت . وكان غضب أيضاً على الاستاذ الامام وكما
 اشتد غضبه على أحدنا يشتد على الآخر ولا احب ان اذكر الآن شيئاً

بما سمته او علمته من آثار هذا الغضب الا ما قيل من عزمه على اخراجي من مصر فقد قال مصطفى كامل باشا للاستاذ الامام صرة ان افندينا يريد ان يتقي صاحب المنار من مصر ويطلب منك ان تسكت على ذلك ولا تحمل لورد كرومر على المعارضة فيه وسمعت مثل هذا الخبر بعد وفاة الاستاذ الامام . وقال لي أحد معارفي في ٢٢ من المحرم سنة ١٣٢٦ ان السر غورست على وفاق مع الخديو وهو لا يعارضه في الانتقام ممن يغضب عليه ولا سيما اذا كان عثمانيا لانه ليس كلورد كرومر في المحافظة على الحرية الشخصية وقد علمت أن الخديو غضبان عليك فيجب ان تسمى في استرضائه لئلا يتفك من هذه الديار وانه ربما يفعل ذلك . فقلت له انني لا أكتب في هذه السنين شيئا عنه ولا أعلم ان في المنار شيئا يسوءه فماذا ينقم مني ؟ قال دوام الثناء على الشيخ محمد عبده . قلت ليس في المنار ثناء ، وانما هي اقوال عنه وآراء ، ولا يمكن أن يخلو المنار من ذكره ، وان مصر لا منزلة لها عندي الا لحرية العلم والصحافة والحرية الشخصية فاذا كان الخديو يتقي منها من كره وجوده فيها ، فلماذا أحرص أنا على الاقامة بها ، أو آسى على البعد عنها ؟ انني اذا أضمن الى الهند ، وانني لا أعلم انه يكون لي فيها مقام كريم لا اجد مثله في مصر . وهذا وان مثل هذا الخبر ليس برهانا يقينيا على صحة ما قيل عن الامير برأه الله وحماه مما لا يليق به ، وان كان عند بعض الكبراء ونظار الحكومة نبأ منه ،

وفي السنة الخامسة نشرت «سجل جمعية أم القرى» في المنار ومقالات «الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة» فتضاعف قراء المنار في القطر المصري

واشتدت الحكومة العثمانية في المراقبة عليه والبحث عن قرائنه ولا سيما في القطر السوري ،

وفي السنة السادسة شرعت في نشر رسالة في مالية الدولة العثمانية فرغب اليّ الأستاذ الامام أن لا أتمها فوافيت رغبته ولكنني ضقت ذرعاً بسوء حالنا السياسية فصرت أكثر في تفسير القرآن الحكيم من السياسة وهو يجيز ذلك لانه إنما ينهي عن التصريح بسياسة حكوماتنا وحكامنا لئلا يصدونا عن خدمة الدين والعلم

وفي السنة السابعة كثّر ديب عقارب السعاية من جواسيس المايين بمصر ونوّارت التقارير في الأستاذ الامام وفي صاحب المنار، وكان الذي يُبلغها السلطان هو عزت باشا العابد الذي كان يتهوّن الاستاذ مودة سابقة مذكّانا في سورية ولم يحدث بينهما ما يوجب هذا الانقلاب الا صنعة عزت الجديدة في المايين وعلاقته بمصر وكان حزب الشيطان الذي يدبر هذه السعيات والمفاسد قد زوّر رسائل بتوقيع (محمد عبده) وأرسلها الى الحجاز واليمن وغيرهما من البلاد العربية تشتمل على الدعوة الى الخلافة العربية وهو يعلم انها تقع في الايدي التي توصلها الى المايين فاشتد خوف السلطان من الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد عبده لا علم له بما يكتب في شأنه ولا ما يكتب عن لسانه مما هو مخالف لرأيه واعتقاده حتى انه هو الذي ارجع بعض المستشرقين عن السعي لإنشاء دولة عربية لا اعتقاده ان التفريق بين الترك والمرب يضيف الفريقين ويسهل على الدول الطامعة محو الدولة الاسلامية من الارض واني ما وقفت على اكثر ما اشرت اليه هنا الا بعد موته

ومادخلت السنة الثامنة الا وقد صار النفور والخلاف بين الامير والاستاذ على اشد هما كما ان السماية الى السلطان فيه قد بلغت غايتها ، وقد اشتد المرض على الاستاذ حتى كان يجود بنفسه في الاسكندرية والحكومة المثمانية تبحث عنه في سواحل بيروت لان الجواسيس قد بلغوا المايين انه سافر الى بيروت متكرراً ليؤسس الخلافة العربية في سورية !! ألا قاتل الله اولئك التحوت الاشرار ما كان اشد عبثهم بالسلطان وخيائتهم له وللدولة والامة . وفي هاتين السقتين كان الاستبداد قد شد الخناق على محبي العلم والاضطهاد لمقتي الكتب ومنيت بيروت بخليل باشا واليا ، وطرا بلس بحسني بك متصرفا ، وكأنا من شر اعوان الاستبداد والمخلصين له فيما يحاول من الظلم والافساد ، فأمرنا في تفتيش البيوت ، واخذ الكتب والاوراق منها ، والمواخذة على اقتنائها ، حتى صار الناس يحرقون كتبهم وأوراقهم بالنار ، ومنهم من كان يدفنها بل يئدها كما تئد الجاهلية البنات ، حتى احرق في سنة واحدة عشرات الألوف من المجلدات !

كيف لا وقد كانت الكتب والجرائد تعد من الجرائر ، منها الصغائر ومنها الكبار ، وكان اقتناء النار او ما طبع بمطبعة النار ، هو اعظم الذنوب وأثقل الاوزار ، وكان الحكم على مجرمي الكتب بالهوى لا بالشرع ولا القانون ، لا تأخذ الحاكم فيهم رافة ، ولا تقبل منهم شفاعة ولا عدل ولا هم ينصرون ، على أن أولئك الولاة ومن دونهم من المستبدين ، لم يستعملوا بأس الحكومة الا في منع كتب العلم واضطهاد المتعلمين ، دون سفك الدم وافساد الأمن ، واهلاك الحرث والنسل ، فماذا كان حفظنا من حكمهم ؟ دمروا الدار ، واجتاحوا الكتب والاسفار ، وحبسوا من وجدوا

من الاخوة ، وحصروا الوالد المريض مع النساء ، ووضعوا على دلوه الحراس والخبراء ، فكان ذلك الشيخ الجليل ، والسيد الشريف ، يوجد بنفسه ، وينتظر أمر ربه ، وبناته مع أمهن امام سريره يطلقن المبرات ، ويصمدن الزفرات ، فقد عن عليهن ، وعظم المصاب في قلوبهن ، أن حيل بينه وبين أولاده الأبرار ، في وقت توديعه لهذه الدار ، فمنهم القريب الذي هو في حكم المبعد ، والسجين الذي هو في حكم المستبعد ، وهذا والجنود السلطانية تحيط بهن ، وتطوف حول منزلهن ، شاكية السلاح ، مستعدة للكفاح ، تدل بيأسها وشدها ، وتمثل قوة « الخلافة الحميدية » وعظمتها ، ليعرف الشيخ المحتضر عجزه عن تأسيس خلافة عربية في قرية القامون ، وهكذا قضى الوالد نحيبه فاتا لله وإنا اليه راجعون ،

ثم كان من ظلم الحكومة المستبدة لنا أن ولت على مسجدنا رجلا آخر بغير حق واطمعت في الاستيلاء على مقارنا بدعوى انها وقف كما اطمعت غيره من أشقياء طرابلس فنهبوا ما وجدوا في الدار من الثياب والحلي والماعون وغير ذلك ، وقد أسقط الله حكومة الاستبداد ، ولما تكونت حكومة الدستور ، لحقوقنا لا تزال مهضومة لفساد الحكام ، واختلال الامن العام ، فهذا يحمل من خبر ظلم الحكومة لنا ، وهو قليل من كثير ظلمها لغيرنا ، ممن أجرموا كآجرامنا ، فشكوا من الظلم والجور ، ودعوا الى العلم والعدل ،

كان يصل إلينا قليل من أخبار الاستبداد ، ووقائع القتل والافساد ، وبعد وفاة الاستاذ الامام صرفنا وقت الفراغ والراحة الذي كنا نجالسه فيه الى مجالسة اخواننا العثمانيين المقيمين في القاهرة فازدنا علما بسوء

الحال ، وخطر المال ، فأسسنا جمعية الشورى العثمانية لاجل جمع كلمة
العثمانيين ، على استبدال حكومة الشورى بحكومة المستبدين ، علمنا بأن جمعية
الاتحاد والترقي خاصة بالمسلمين ، وان العثمانيين ما داموا متفرقين شيعاء ،
ومتقطعين ملاماً وأمماً ، فكلمتهم هي السفلى ، وكلمة الاستبداد هي العليا ،
فألفت الجمعية من المسلمين عربهم وتركهم وألبانهم واكرادهم ، ومن
النصارى عربهم ورومهم وأرمنهم ، ودعي إليها بعض اليهود ولكن لم يكن
في مجلس ادارتها أحد منهم ، وقد انتخب هذا الماجز (صاحب هذه المجلة)
رئيساً لمجلس ادارة اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية وكانت ترسل جريدتها
ومنشوراتها السرية ، الى الروملي والاناتول بل والاستانة العلية ،

اهتم السلطان بهذه الجمعية حتى هجر النوم مضجعه ثلاث ليال ، كما
علمنا من رواية العارفين الثقات ، فقد كان - وأقر الله بالدستور عينه ،
ولا سهد في عهد الحرية جفنه - كثيراً ما يشارك أحرار أمته في أرقهم ،
ويساهمهم في قلقهم ، وان كانا في هذا الامر ، كضيف عمرو وعمروا ،
وصار للجمعية لسان صدق عند جميع أحرار العثمانيين ، فكانت مبدأ
ما كان من وحدتهم بعد حين ، وقدم أحمد رضا بك من باريس الى مصر
فرغب اليها ان نضم جمعيتنا الى جمعية الاتحاد والترقي فأبى مجلس الادارة
ذلك عليه ، وكان مما قلته له ان تعدد الجمعيات مع وحدة الغاية والمقصد
لا يعد تفرقا ولا يحدث ضعفاً ، واتنازى انه لا نجاح للعثمانيين الا باتفاق
عناصرهم على المطالبة بالدستور ، قال ان قانون جمعيتنا لا يمنع قبول غير
المسلمين فيها ، قلت نعم واتنا لا نشكو من القانون ولكن من عدم تنفيذه
فالقانونكم - وليس في جمعيتكم رومي ولا أرمني ولا سوري نصراني - الا

كتقوانين السلطنة « جبر على ورق » ولو نفذ السلطان قوانين الدولة على
علائها لما طالبناه بمجلس المبعوثان لاشراك الامة معه في الاحكام
هذا ملخص تاريخنا السياسي في السنين الخالية : سالتنا السياسة
فساورت وواثبت ، وأسلسنا لها فجمحت وتقمحت ، وكنتهم بها في بعض
الاحيان ، فيصدف بنا عنها الاستاذ الامام ، ولم نفل منها ما نهواه الا بعد
ان اصطفاه الله ، وليس للمنار حظ في السياسة العملية ، وإنما هم أن
يكون حرا فيما فرض عليه من الخدمة المالية ، واذا كان (كسائر الصحف)
قد أمن على حريته واستقلاله من استبداد الدولة ، فقد بقي عليه أن يجاهد
مع غيره استبداد الامة . فان في الامة أعداء للحرية والاستقلال ، في
المعلوم والافكار والاعمال ، يحبون ان تكون الصحف كما يرون لا كما
يرى أصحابها ، وان ينشر فيها ما يعتقدون لا ما يعتقد كتابها ، وما كتاب
الصحف الا مملون ومرشدون ، وهل يعلم الاستاذ تلاميذه ما يعلمون
ويربي المرشد مريديه كما يريدون !! وقد جرى على هذا كثير من أصحاب
الصحف المصرية وما كانوا مصلحين ، ويجري عليه الآن بعض أصحاب
الصحف العثمانية وما هم بمعتدين ، وسيدنى المنار على صراطه لا يالي بالمخالفين ،
نم ان المنار يستقبل جهادا جديدا في البلاد العثمانية ، وقد فرغ من مثله
فيما عداها من مصر وسائر البلاد الاسلامية ، فأكثر المسلمين العثمانيين ،
لم يأفوا حرية البحث في السياسة والعلم والدين ، ينظر اغلب الباحثين
الى القائلين دون الاقوال ، وينصرون للتقليد على الاستقلال ، ولكن
يوجد في كل بلد أفراد سلمت فطرتهم ، واستنارت بالحق بصيرتهم ،
يشمرون بشدة الحاجة الى اصلاح حالنا الاجتماعية والدينية ، ويعلمون

انه يتوقف على استقلال الفكر والحرية ، وان هؤلاء على قلوبهم ، لينظرون أولئك على كثرتهم ، وسيرزون لهم بعد استقرار الدستور مجادلين لا مجالدين ، يتلون (٢ : ٢٤٩) كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) فهذه الفئة هي التي يشد المنار أزرها ويشد بها أزره ، وينصرها في جهادها ويتقاضاها نصره ، ٢٢ : ٤٠ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ •

سيقول السفهاء من الناس ، وأهل الأرجاف والوسواس ، ان هذا المنار يدعو الى القوضى في الدين ، بترك مذاهب الائمة المجتهدين ، وينصر مذهب الوهابية ، على مذهب السنة أسى الحشوية ، ويبطل القول بالكرامات ، بأنحائه على الدجل والخرافات ، وحجة انصار المنار على هؤلاء ، ومن يقلدهم من الدهماء ، الذي يثبت انه يتحرى الحق والصواب ، ولا يريد الا الاصلاح ما استطاع ، دون التعصب لمذهب على مذهب ، هي قبوله انتقاد المتقدمين ، في مسائل الدنيا والدين ، اذا أيدت الاولى بالعلم والعقل ، والثانية بما صح من النقل ، مع التزام النزاهة والآداب ، واجتناب الحشو والاطناب ، فمن زعم ان في المنار باطلا فليكتب اليه ، دون أن يعصي الله بغيته والظن عليه ، وللحق السلطان على الباطل (٢١ : ١٨) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمنه فاذا هو زاهق ، ١٣ : ١٩ فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال)
منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني

﴿ خطاب صاحب المنار ﴾

على طلاب الكلية الأمريكية المسلمين في بيروت

أيها الاخوة الكرام:

انكم انتم محل رجاء البلاد بترقيتكم وما تلقون من العلوم العالية لذلك أحب في هذا الوقت أقصير ان اذكركم بما ينبغي لطالب العلم ان يكون عليه ليتحقق رجاء أمته فيه ان العلوم تطلب لفرضين صحيحين : احدهما تكميل النفس وترقية العقل . وثانيهما العمل بالعلم والعمل به مسلكتان احدهما جعله حرفة ومستقلاً للعامل والآخر جعله وسيلة لترقية الأمة واعلاء شأنها ويمكن الجمع بينهما

الفرض الأول لا بد منه لكل عاقل وهو العون الاكبر على الفرض الثاني فان من استنار عقله بالعلوم وصار صحيح الحكم فيها تعاونته ويكون جديراً بالاحسان في العمل والاقان للصنع فيجب اذاً ان يكون هو أول شيء تتوجه اليه هممكم وتغلب فيه رغبتكم يظن بعض ضغفاء العقول وصغار النفوس ان طلب العلم لأجل ترقية شأن الأمة به ينافي ما أودع في الفرائض من كون منفعة الانسان لنفسه هي العلة النائية لكل عمل من اعماله وان من توجه الى ذلك وجعله همه من حياته تقوته مصالحه ومنافعه التي لا بد له منها تلك خديعة الطبع اللثيم ووسوسة شيطان الخسة والصغار لصغار المهم فقد رأينا بأعيننا وسمعنا وروينا عن التاريخ ان الذين يقفون حياتهم على خدمة أهمهم لا يعوزهم الطعام واللباس اللائق بهم بل كانوا يفضلون عيشتهم على كل عيشة سواها لانهم من الكرامة ورفعة الذكرا ان لم يكن في بداية أمرهم ففي نهايته

ان من يسلك في طلب العلوم مسلك الاحتراف ويكون قصده منه ان يجعله دكاناً يتجر به أو بستاناً يستغله ليعيش منه لا يرتفع به الى ما هو أعلى من هذا القصد فان قيمته في الوجود لا تعار قيمة غيره من اصحاب الحرف والصناعات العملية كالنجارة والحداذة والزراعة . لا أقول ان هؤلاء لا قيمة لهم وكيف أقول ذلك واعمالهم لا بد منها للمجتمع الانساني وانما أقول ان هؤلاء هم أهل الطبقات الدنيا من الناس الذين لم يرقوا في افق الانسانية ويسهل على طلاب العلوم لاجل الكسب والاحتراف

(المنارج ١٢) استعداد البشر . مراتب الكمال . نشر العلم ١٧

ان يكونوا في افق اعلى من افقهم بان يوجهوا قوسهم الى اعلاء شأن الامة بكسبهم واعمالهم ايها الاخوة : ان استعداد البشر للكمال لاحد له يعرف ، ولا طرف له يوقف عنده ، وان الانسان قد فطر على طلب الكمال فلا يصل الى شيء منه الا ويطلب ما فوقه ، وان افراده يتفاوتون في ذلك تفاوتاً لا نظير له في غيره من المخلوقات فمنهم من يكون وجوده بمقدار محيط جسمه لا يكاد يهيمه شيء وراء توفية مطالبه كبعض الحيوانات الدنيا ومنهم من يتسع وجوده حتى يملأ بلداً كبيراً أو مملكة عظيمة ، وربما تعلم بعض الناس همهم الى جعل وجودهم المعنوي سارياً في أمم كثيرة ماثلاً للأرض التي يعيش فيها الانسان . ولا تكلم فيهم الانسان واستشر الله ما هو وراء ذلك من عالم الغيب اذا كان فضل الانسان وسعة وجوده الانساني على قدر فقهه بعلمه وعمله فلا شك ان من توجه نفسه الى فقه جميع البشر يكون افضل واكمل ممن لا يتوجه الا الى فقه أمة واحدة أو شعب واحد ولكن كيف يتأتى للفرد من الناس ان يخدم امماً كثيرة؟ الجواب عن هذا السؤال يعرف من القاعدة المعقولة التي جاء بها الحديث النبوي وجرى عليها الشرع الاسلامي وهي « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول : الاقرب فالاقرب » وقد قال قهاوتنا ان من وجد من القوت زيادة عن كفايته قدمه للاقرب اليه من ولد وزوج الخ فان وجد فضلاً افق منه على غير الاقربين من ذوي الحاجات حتى قالوا انه يجب على المسلم ان ينفق على المضطر من غير المسلمين ما لم يكن محارباً لنا وانه يقدم الجار على غيره قربه ! فلي هذا يجب علينا ان نبدأ بنشر العلم والقيام بالاعمال النافعة في امتنا ومملكتنا وان يقدم أهل كل بلدة خدمة بلدهم الذي يقيمون فيه على غيره من بلادهم ثم فينبض بعد ذلك من علومنا وأعمالنا النافعة على غيرنا من الامم على الوجه الذي سبقنا اليه الامم الحية في هذا العصر وامامكم العبرة في المدرسة التي تعلمون فيها

أليس منشؤ هذه المدرسة يقصدون بها جعل العلم الذي ينفع الناس وسيلة لنشر لغتهم وبث تعاليم مذهبهم الديني في نفوس من يعلمونهم ؟ بلى وان في عالم هذه العبرة لنا يجب علينا ان نعتبر بها وان نرفع انفسنا لتكون أولى بهذه المنفعة منهم

يجب عليكم ان تعاونوا وتقصصوا بهوة الاجتماع وانكم ربما تقفون كيدا واحراجا لقشونوا وتنكبوا جادة الاعتدال في استمساكم بدينكم وحرصكم على الاجتماع والتعاون

(المجلد الثاني عشر)

(٣)

(المنارج ١)

١٨ المسلمون في مدارس الجمعيات النصرانية (المارچ ١ م ١٢)

فيجب ان تتسع صدوركم لجميع مايتكبرون من معاملة من معكم وان تقابلوهم بالادب في القول والفعل لان الادب من الفضيلة وهي مطلوبة لذاتها ولئلا يكون لهم عليكم حجة بعد ان ثبتت لكم الحجة عند دولتكم ودولتهم
انكم لم تصمدوا بما كان منكم الا إرضاء ضمائركم والمطابقة بين عقائدكم واعمالكم فحسبكم ان يتم لكم ذلك بالهدوء والسكينة والادب. واني اجلكم عن قصدا العناد لروؤسائكم واساتذتكم او الجنوح للاستعلاء بالظفر لذاته
وأوصيكم بالمحافظة على الصلوات الخمس ولو منفردين في حجراتكم وبالحرص على صلاة الجماعة كلما تيسر لكم ذلك ولو على ارض حديقة المدرسة فقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم « جعلت لي الارض مسجدا وتربها طهورا »
انكم قمتم بواجبي ديني سلمي وهو الامتناع من دخول الكنيسة لسماع تعاليم دين غير دينكم فعليكم بهذا العمل الايجابي الذي هو عماد الدين « واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين »

﴿ المسلمون في مدارس الجمعيات النصرانية ﴾

المدرسة الكلية الامريكانية

المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت كسائر مدارس الجمعيات النصرانية في الشرق غرض مؤسسيها منها جعل العلم وسيلة الى الدين، ولبعضها غرض سياسي ايضا فهي طريق من طرق الدعوة الى مذاهب مؤسسيها في دينهم. ولهم وسائل أخرى كالمستشفيات والمكتبات وحجرات القراءة يثرون فيها دعوتهم، وينشرون بها مذهبهم، الا أن المدارس الأمريكية أحسن من غيرها تعليميا وأعلى تأديبا وأشد استقلالا وأقل تعصبا على المخالفين في الدين والسياسة، اذ ليس لأمرىكا مطامع سياسية في هذه البلاد ولكن قد تؤيد هذه المدارس سياسة انكلترا

إن عقلاء المسلمين يقدرون غير مؤسسي هذه الجمعيات الدينية حق قدرها ويعرفون مقدار المستخدمين فيها لنشر دينهم والتوسل اليه بالوسائل النافعة للناس في أجسامهم وعقولهم، ويتمنون لو يوجد في أمتهم الاسلامية اسخياء اجواد يبذلون المال لنشر الاسلام مع العلم النافع الذي هو أساس بنيانه، والعمل الصالح (كالمستشفيات) الذي هو أقوى أركانه،

وان عامة المسلمين يشعرون بشدة الحاجة الى هذه المدارس التي أسست على دعوة النصرانية لما فيها من العلم ، ويطعون بما فيها من الضرر لآ ولادهم في الدين ، فالعلم يقتضي الإقبال عليها ، والخوف على عقائد التشديد يمنع من الثقة بها ، والجمهور مختلفون في الترجيح بين المانم والمقتضي

فهم من يرجح المقتضي من غير تفكير في عواقب المانع لأن الشعور بالحاجة الى العلم قد استحوذت على فكره ، حتى حال بينه وبين سلطان قلبه ، ومن يرجحه لاعتقاده ان المسلم لا يكون نصرانيا لأن الدين قد سار على سنة الارتقاء تبعاً لاستعداد البشر فكان الاسلام متحى ارتقائه وهو الدين المعروف تاريخه ، المتواتر كتابه ، المحفوظ سند سنة ، ومن وصل الى الدرجة العليا في شيء لا يرضى لنفسه ان يهبط الى مادونها ، ولذلك ينذل دعاة النصرانية الألوف المكررة من الدنانير في دعوة المسلمين الى دينهم بالاساليب العجيبة ويقضون السنين الكثيرة في البلد من بلادهم ولا ينجحون باستمالة رجل واحد وإرجاعه عن الاسلام ، وان كانوا يوهمون جمعياتهم التي تمدهم بالمال فيكتبون اليها في كل عام انه قد تنصر في هذه السنة على أيدينا فلان وفلان ، ويذكرون اسماء سموها بأقلامهم لم يعرف مسمياتها الزمان ، ولكن الاسلام يجذب الى رحابه الفسبح في كل سنة ألوف من الناس بغير دعوة ولا ترغيب كترغيب دعاة الانكليز والامريكان ، ولا ترهيب كترهيب دعاة الروس في بلادهم .

نعم ربما يقذف القفر في كل حقبة من الزمن برجل من المسلمين جنسية لاحقيقة فيلقبه في أحسن ملاحظتهم أو قناء من أفئتهم فيسهل له العوز اتتحال اسم من اسمائهم ، أو لقب من ألقابهم وربما أغراه المال بأن يكون داعياً من دعائهم ، كما فعل « أرميا الحزين » الذي استجاب لرقيتهم بمصر ثم فضحهم وهو يشرب لهم في الجزائر ، اذ كتب مقالات في المؤيد يبين فيها انهم يدعون في كل بلد إسلامي بنجاح دعوتهم في غيره ، ويدعون في قاريرهم التي يرسلونها الى جمعياتهم انهم ناجحون في كل بلد ، والغالب فيمن ينجح لهم ان يعود الى الاسلام ولو بعد حين

وقال السيد جمال الدين الافغاني في بيان سبب إخفاق دعوة المبشرين بين مسلمي الهند : ان المسلم لا يمكن ان يكون نصرانيا لأن الاسلام نصرانية وزيادة

٢٠ وجه التفور من المدارس النصرانية (المئذون ١٢م)

فإنه يقرر الايمان ببيسى وبما جاء به من عند الله تعالى دون ما زاده الفل على ذلك
 ويزيد على ذلك الايمان بمحمد (عليهما الصلاة والسلام) وبما جاء به مصداقاً لآفته .
 وحديثي شاكر بك الذي كان رئيساً للجزء بطرابلس الشام من بضع عشرة
 سنة انه كان في بلدة ليس فيها مدرسة للبنات الجمعية للراهبات فوضع بنته فيها فقرأتها
 أمها يوماً ترسم شكل الصليب على وجهها أو صدرها فوجت وامتعضت ، وشكت
 وبكت ، وقالت لا بد من إخراجها من هذه المدرسة . قال فهونت عليها ألا مروكت
 أقول لما نجاتم ان ابن المسلم لا يكون نصرانياً أبداً ولم أقبل توسلها الي باخراجها وقد
 نطت حتى أتمت تعليمها عند الراهبات وهي الآن قرأ القرآن الشريف وتصلي
 وتصوم ولم يضرها حرص الراهبات على تصيرها

هذا ما يراه بعض الذين يطمون أبناءهم وبناتهم في هذه المدارس الدينية . ومنهم من
 يرجح المانع على المقتضي كما هو المعتمد في المسألة عند أهل الأصول كما أشار الى ذلك الشاعر

بقوله قالوا فلان عالم فاضل فأكرموه مثلاً يرتضي

فقلت لم يكن عاملاً فعارض المانع والمقتضي

ومبلغ حجة هؤلاء ان مذاهب الفقهاء المتبعة تحظر على المسلم المتمكن في دينه
 ان يدخل مع النصراني وغيرهم من المخالفين لنا في أصل الدين معادهم بهيئتهم
 الدينية التي يدخلون فيها وصرحوا بأنه إذا تشبه بهم في ذلك بحيث يظن انه منهم
 صار مرتداً وان بقي متميزاً عنهم بحيث لا يشبه بهم لا يكون مرتداً الا اذا قال أو
 فعل أو اعتقد ما يخالف ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة . ويقولون ان
 من الخطر على دين غير المتمكنين في دينهم كالأولاد الذين يوضعون في هذه
 المدارس ان يسمح لهم بهذه الأعمال التي يظن ان تكون عندنا كفراً وردة
 وأهونها ان تكون معصية فإذا علق النوع الأول في ذهن التلميذ منامات قبل ان
 يصحح اعتقاده بمعاشره المسلمين العارفين أو مراجعة العلماء الراسخين مات مرتداً
 لأنزله ولا تعامله معاملة موتانا اذا كنا عالمين بحاله واذا مات أبوه أو أمه أو غيرها
 من الأقربين في حياته لا يرث هو منهم شيئاً . ويقولون أيضاً ان بعض قهائنا
 صرح بأن الرضى بالكفر كفر فإذا رضىنا بشيء من ذلك نكون نحن مرتدين أيضاً

(الملتحق ١٢م) الكلية الامريكانية . إلزامها المسلمين بدخول الكنيسة ٢١

وهذا الذي يتخوفونه على دينهم ليس بعيد عن مدارس الكاثوليك والأرثوذكس ولا سيما مدارس الجزويت كما بلغنا من مصادر كثيرة تصل الى درجة التواتر المعنوي من انهم يلزمون أولاد المسلمين بجميع تقاليدهم الدينية حتى تعظيم الصور والتماثيل والاستغاثة بالقدسين وذلك في حكم الاسلام شرك نستقد أنه طرأ على النصرانية بعد المسيح عليه السلام وحواريه عليهم الرضوان بعدة قرون . وان كان القرآن لا يدخلهم في قلب المشركين ولا نحن نخطبهم به لأنهم يبرؤن منه ويتأذون به وإننا نعلمهم محرم علينا سواء كانوا ذميين أو معاهدين وقد بينا ذلك في الملتحق أكثر من مرة . أما ما ذكرناه في هذا المقال فيان لا يستعده المتساهلون وغير المتساهلين منا نرجو ان يكون سبباً لحسن التفاهم بيننا وبين العقلاء المعتدلين منهم كمدة المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت قد قلنا في أول المقال ان مدارس الامريكان أقل تعصبا على المخالفين وقد جرى بيني وبين أحد أساتذة المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت حديث في الخلاف الذي جرى بين تلاميذ المسلمين وعمدة المدرسة على دخول الكنيسة لسباع الوعظ الديني اذ اتمتع التلاميذ من الدخول بعد ما صارت الحكومة العثمانية دستورية حرة وأصرت المدرسة على إلزامهم أحداً لاثنين إما الاستمرار على دخول الكنيسة كما كان الأمر على عهد الحكومة الاستبدادية وإما الخروج من المدرسة وترك العلم فيها ، فاجتمعوا وقاسموا لثبتن على رأينا : لا ندخل ولا نخرج . حتى رفع الأمر الى الاساتذة وبعد مراجعة حكومتنا هناك لسفير الولايات المتحدة قرر بينهما ما بلحته نظارة الداخلية لوالي بيروت وهو انه لا يلزم المسلمون دخول الكنيسة بل يجب ان يبنى لهم مسجد يصلون فيه . وان السفير بلغ معتمد (قنصل) حكومته في بيروت ذلك ليلفه المدرسة الكلية . وقد كان الحديث بيني وبين ذلك الاستاذ قبل ورود هذا البلاغ من الاساتذة وحضره جماعة من فضلاء النصارى

قال الاستاذ ما معناه : ان المدرسة الكلية لا تعلم التلاميذ التقاليد والاعمال الدينية التي يقرها بعض مذاهب النصرانية ولا تطعن في أديانهم ولا مذاهبهم التي يخالف مذاهب مؤسسها وإنما تلقي عليهم مواظبة عامة تتفق مع كل دين وان كانت من الكتاب المقدس لأجل ان تفرس في نفوسهم قوى الله وحب الفضيلة

٢٢ فريقا المسلمين . وجوب احترام المقدرات (المخرج ١٢)

وتبعضهم عن الابلاد والتعطيل فان الموسمين لما من أهل الدين والمحافظة عليه أهم مقاصدهم . وان المكان الذي تقى فيه المواقظ الدينية ليس كنيسة مؤسسة لاجل العبادة بل هو مكان تقى فيه الخطب العلمية والادبية وغيرها ويمزف الحسان فيه بآلات الموسيقى . (قال) فهل يحرم الدين الاسلامي على المسلمين دخول هذا المكان ويوجب عليهم مخالفة نظام المدرسة ؟

قلت ان المسلمين فريقان منهم من يأخذ بالدليل ومنهم من يتبع قهواء مذهبه والمشهور عن قهواء المذاهب التي عليها هؤلاء التلاميذ ان الدخول الى معابد المخالفين لنا في الدين ومشاركتهم فيها هو خاص بهم من أمور الدين فيها وكذا في خارجها إما محرم وإما كفر في تفصيل لم في ذلك فامل تلاميذكم يتقدون ان دخول المكان الذي ذكرته من هذا القبيل وحينئذ يجب احترام اعتقادهم وان كان لا يقوم دليل في الاسلام على تحريم دخول مكان مثل الذي ذكرت ليس مبدءا دينيا ولا يقى فيه شيء مخالف للاسلام (ثم قلت) ان احترام النظام في المدارس والبيوت وكل مكان ركن عظيم من اركان التربية ومن لم يترب على احترام النظام والتزامه لا يكون رجلا عظيما نافعا لأمته ووطنه . ولكن احترام الاعتقاد والضمير أقدس وأعلى من احترام النظام فان من لا يحترم اعتقاد نفسه يكون منافقا لا يوثق به في شيء من الأشياء . وان اكراه التلميذ على ذلك أشد إفسادا لآخلاقه من كل ما يخطر في البال انه يفسد الاخلاق اذ لا يرجى ممن لا يحترم اعتقاده ان يحترم أسرته ولا امته فضلا عن احترامه لمن لا يتصل به في وشيجة رحم ولا مصلحة وطن

(قلت) اني اذا رأيت إنسانا يتقدم بأن هذه البلاطة من الرخام (واشرت الى بلاطة في الأرض) تنفع وتضر ورأيت بعبدها ويحترمها فاني لا أجيز لنفسي أن أكرهه على دوسها والوطأ عليها ولا أن أمره بذلك الا بعد أن أقنع بطلان اعتقاده فيها . وقد وقع لي واقعة في ذلك : وهي ان رجلا أخبرني بأن خصامي في محاكمة شرعية حمله كتابا الى آخر وسألني ماذا يفعل فيه وأنا اعلم انه يطعنني في كل ما أمره به وان في الكتاب حجة لي على خصمي تصلح فصلا للنزاع وتوفر علي وقنا طويلا ونفقة كثيرة ولو شئت لا أخذت الكتاب فان حامله لا يخالف أمري ومع هذا لم استحل أن أمره بالحياة

(التاريخ ١ م ١٢) حرية الضمير والمعتقد . احترامها ٢٣

ولما حدثت مشكلة القضاء الشرعي بمصر من زهاء عشر مئتين وعزم الانكليز على إلزام الخديو بعزل القاضي المولى من السلطان وتولية قاضٍ مصري مكانه كره الخديو ذلك ولكنه لم يهتد الى الخرج منه فطلب ان يجيء الاستاذ الامام من القاهرة الى الاسكندرية (وكان الخديو في مصطافه فيها) فجاء (رحمه الله) ليلا وقابل الامير في الصباح فقال له انني طلبتك بلسان البرق لاستشريك في مشكلة القاضي وبمسد خروجك من هنا سيدخل لورد كرومر لأجل ان يكلمني في وجوب عزل جمال الدين افندي وتولية احد علماء مصر منصب قضاء مصر الشرعي وسيجتمع بعد ذهابه مجلس النظار هنا لتقرير ذلك فيماذا أدفع اللورد بحسب رأيك ؟ فقال الاستاذ ان الانكليز من أشد خلق الله احتراماً لحرية الضمير والاعتقاد حتى انهم ربما ذكروا ذلك في قوانينهم فانهم لما وضعوا قانون التلقيح للوقاية من الجدري كان من مواده انه يجبر عليه كل أحد الا من يقول إن ضميره لا يحيز ذلك . فاذا كنتم تعتقدون ان تولية القاضي من حقوق السلطان وانه لا يجوز لكم ان تعينوا القاضي من قبلكم فيكني في إقناع اللورد بالرجوع عن طلبه ان يقول له افندينا ان ضميري لا يسمح لي بذلك لأنني اعتقد ان هذا حق السلطان وحده . فتمنى سمع هذا الجواب يذعن له ولا يمكن لمثل لورد كرومر في تريته الانكليزية العالية ان يقول لكم خالفوا ضميركم وقد كان الامر كما قال الاستاذ وبذلك انحلت المشكلة بعد ان كان عزل قاضي السلطان قد صار في الأمر المضي الذي لا مراجعة فيه حتى ان جمال الدين افندي باع داره ونهياً للسفر من مصر الى الاسكندرية هذا ما أجبت به احد اساتذة المدرسة الكلية وقد استحسنته من سمعه واعترفوا بأن من افساد الاخلاق ان يؤثر الانسان بفعل ما يعتقد انه قبيح او محرم عليه ، ثم جاني بعض تلاميذ الكلية من المسلمين وسألوني عن رأيي في مسائلهم ومسألتهم عن سببها وعلتها فاستفدت من المراجعة ما يأتي

- (١) ان التلاميذ يلزمون الدخول كل يوم الكنيسة (Chapel) والمكث ربع او ثلث ساعة لسماع نبذة من العهد الجديد او العهد العتيق تختم بالدعاء الذي يعبرون عنه بالصلاة ، وكل يوم احد ثلاث مرات بمكثون كل مرة زهاء ساعة ونصف
- (٢) انه يوجد في المدرسة جمعية ارمنية لتلاميذ الأرمن وجمعية يونانية

٢٤ المسلمون . إرهابهم في كلية الأمريكان (المارچ ١٩٨١م)

اليونانيين وجمعية للمصريين من المسلمين والنصارى وجمعية مسيحية تسمى جمعية الشبان المسيحيين وجمعية لليهود

(٣) طلب التلاميذ المسلمون إنشاء جمعية إسلامية تبحث في ترقى المسلمين مع عدم الخوض في السياسة فرفض طلبهم

(٤) طلبوا ان يجتمعوا ليلة المولد النبوي للبحث في سبب الاحتفال في مثل ذلك اليوم وما يحسن فيه فنصروا . فهذا هو السبب لتألب المسلمين . وذكريات جلوات شاذة في الوطن في الاسلام نصريحا او قلوبيا سقطت من بعض رجال المدرسة الأمريكانيين حاجت النفوس وأعدتها للحركة التي ظهرت بعد ذلك عند ما جاء وقتها ولا تذكروا في هذا المقال لأنها ليست من نظام المدرسة ولا من اعمالها المطردة بعد هذا كله تقول ان مؤسسي المدرسة بأموالهم ومديري شؤونها والمعلمين فيها

كلهم من أهل الفضل والخير والعلم بطبائع الأمم وأخلاق البشر وأحوال الاجتماع فهم يطمون ان الظلم (ومنه منع المسلمين من الاجتماع كاليهود ببلد النصارى) ينتج في المستقبل ضد مايراد منه في الحال ، وان الأمم لا ترهق في زمن الدستور والحرية ، بما كانت ترهقه في زمن الاستبداد والعبودية ، فكان عليهم ان يتذكروا هذا فيلنوا ويشاعروا مع التلاميذ المسلمين عند امتناعهم عن دخول الكنيسة ثم يستميلوهم إلى

احترام المدرسة بالعدل والمساواة بينهم وبين غيرهم من المال والشعوب في تأليف الجمعيات بأن يأذنوا لهم بتأليف جمعية إسلامية فان الرئيس الذي لا يبدل لا يطاع بالاحترام ، وكيف يطالب بالنظام من يتعصب ويحايي في النظام ، ثم يجملون تلك المواظف خالية مما يخالف الاسلام ويمارضه ويقنعون أولئك التلاميذ بأن حضورها بهذه الصفة لا يحظره الاسلام فيكون فاقا — وما أسهل ذلك عليهم اذا جاؤه من باب

ان جميع من في المدرسة الكلية من الرؤساء والمعلمين يطمون أن مايتلى فيها من المواظف عادة لا يرد المسلم عن الاسلام الى النصرانية ولكنه لا يخلو من نوع من الألفة والمودة وقرب الطوائف بعضها من بعض ، وهذا المقصد العالي الذي يسعى إليه الحكماء الذين يخدمون الانسانية خدمة خالصة من شوائب السياسة والهوى . فإذا كان رؤساء المدرسة يرمون الى هذا الغرض فليتهم ان يتذكروا ان الربى اليه

(المارچ ١ م ١٢) كلية الامريكان . كيف نُحل مشكل الاعتصاب ٢٥

عن قوس العزة والإدلال ، والإكراه والإذلال ، هو الذي يطيش سهمه ، وينفضي الى ضد ما يراد منه وأن الحب لا يكون بالفتب ، وإنما التجب داعية الحب ، بلقي أنهم يقولون ان المدرسة مسيحية انشئت بآل المسيحيين لأجل بث الدين المسيحي فمن لم يرض بدخول الكنيسة وتلقي التعليم المسيحي فيها فلا يدخلن مدرستنا! وهذا القول على مخالفته لفعوى ماسمته من أحد مطلي المدرسة يمكن ان يقوله بعض رؤساء المدرسة احتجاجا وانتصارا لأنفسهم وما أظن ان جميع أولي الشأن في المدرسة يرضون بأن يكون فصل الخطاب في المسألة حرمان المسلمين من المدرسة أو إخضاعهم لما سبق يانه من المعاملة التي تغر القلوب وتورث العداوة والبغضاء والتعصب الذميم

وصفة الكلام في هذا المقام أنه يتعدى على المدرسة الآن الزام من فيها من المسلمين ما ذكرنا بعد ما اجتمعوا وتكاسموا واتفقت حكومة الاستانة مع سفارة الولايات المتحدة على عدم جواز ذلك . وان أمامها في السنة الآتية أحد أمرين : إما التساهل والتسامح في قبول التلاميذ المسلمين لتأليف النفوس وجذب القلوب بعضها الى بعض والاكتفاء من الخدمة الدينية بهذا المقدار مع ترقية العقول بالعلم والنفوس بالترية الادبية الاجتماعية ، وإما عدم قبول المسلمين في مدرستهم وهم أحرار مختارون في ذلك

فان اختاروا الأمر الأول حمدهم المسلمون وحمدتهم الإنسانية وكانوا أقرب الى مقصد الدين الحقيقي الذي لا خلاف فيه بين المسيحية والاسلامية وهي خير البشر وتألفهم ، وان اختاروا الأمر الثاني فانهم يطمون المسلمين درسا جديدا قد يضرهم ويضر من يعيش معهم من جهة تباعد القلوب وقوة التعصب الذي يشكو منه محبو التأليف والتوفيق ولكنه ينفعهم من جهة أخرى بما ينهض من همهم ويرفع من نفوسهم ويدفعها الى الاعتماد على ذاتها ومباراتهم في تأليف الجمعيات الدينية لإنشاء أمثال هذه المدارس لأنفسهم

سيقولون ان المسلمين لا يستطيعون الآن إنشاء مدارس كالمدرسة الكلية بل

(المجلد الثاني عشر)

(٤)

(المارچ ١)

٢٦ التعليم الأجنبي . مضاره للعثمانيين (المارچ ١ م ١٢)

كثيرا ما قالوا . ولكن هذا القول لاحجة له الا ما يهيدون من بخل اغنياء المسلمين بالمال في سبيل العلم والدين . وهذا عرض لا يدوم فها نحن أولاء نرى اخواننا المصريين قد بدأوا يبذلون الالوف من الدنانير لإنشاء المدارس وقد سبقهم الى ذلك مسلمو الهند ومسلمو روسيا . وقد دبت الحياة في المملكة العثمانية فيرجى ان تصبى غيرها في هذا المضمار لمكاتها العالية من سائر بلاد المسلمين

ان مسلمي العثمانيين لا بد ان ينشطوا في هذا العصر من عقالم ويطبوا ان التعليم الأجنبي المحض مها عظم نفعه لا يؤمن ضرره ، فانه ان خلا من الطعن في الاسلام أو تفضيل غيره عليه فانه لا يخلو من اضعاف للعاطفة الملية ، وحل للرابطة القومية ، فانه يحول مجاري الفكر في العلوم ومهاب أهواء النفوس في الاخلاق والآداب الى جهة المعلمين والمربين من الاجانب فيجعل عقول نابتنا وقلوبها ملكاً لهم أو وقفاً عليهم أو مجذوبة اليهم أو مفضلة لمقومات أمتهم على غيرها وبذلك ينقص من مقومات أمتنا ومن احترامها في نفوس نابتنا بمقدار ما يزيد في نفوسها من عظمتهم فلا نطمع في مجاراتهم ومباراتهم ، فضلا عن مسابقتهم ومقاومتهم ، بل نكون دائما عيالا عليهم . ناهيك بما في العلوم من الشبهات على الدين التي يسهل دفعها عن الاسلام لو كان المعلمون عارفين بحقيقته ، وارين عين شريته

فهذه العلوم التي تؤخذ من هذه المدارس لا تكون حياة حقيقية لأمتنا الا بعد ان يصير زمام التعليم والثرية في أيدينا . فيجب على تلاميذنا في المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت وعلى امثالهم في غيرها ان يعدوا انفسهم ليكونوا عوناً لنا على ذلك باتقان اساليب التعليم ونقل العلوم الى لفتنا ، وسيرون من الامة نهضة مباركة في إمدادهم بالمال ، وان لا يكرهوا ما يرون من هضم حقوقهم وعدم مساواتهم برفاقهم من ابناء الملل الاخرى فان هذه المعاملة هي التي تحرك غيرتهم وتجمع كلمتهم فليقبلوها بسعة الصدر ، واطالة الفكر ، وحسن المعاملة ، وكثرة المجاملة ، وطاعة النظام ، ولين الكلام ، والتواصي بالحق والصبر ، حتي تكون حاجتهم هي الناهضة وعاقبتهم هي الحسنى « وعسى ان تكرر هوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

(المخرج ١ م ١٢) الإصلاح الأهم المقدم في المملكة العثمانية ٢٧

الإصلاح الأهم المقدم في المملكة العثمانية

كثير حديث الناس في الحكومة العثمانية الجديدة وما ينتظر منها من الإصلاح بعد أن قضى أحرار الأمة وجيشها على الحكم الشخصي الاستبدادي ، وأدالوا منه حكم الشورى الدستوري ، وكثرت أقوال الجرائد في ذلك ، ولكتنا نرى أكثر الحديث في الأمور الكمالية التي لا يكون إصلاحها إلا في السنين الطوال كالمالية والمعارف والحرية والبحرية والعدلية (الحقانية) والزراعة ، ولما نرى أحدا يذكر أهم المهمات الذي يجب تقديمه على كل شيء بلا استثناء ، ألا وهو تنظيم الشرطة (الضابطة والبوليس) لأجل حفظ الأمن العام وتنفيذ الشرع والقوانين بالعدل والمساواة أعلن الدستور وأعيد القانون الأساسي فصاح الصائحون بالناس في كل بلد أن احتفلوا به واحتفلوا ، وقيل لهم اخطبوا واهتفوا فخطبوا واهتفوا ، وقام الأحرار والمستعدون للحرية في وجوه أعوان الاستبداد والعبودية ، قاتلوا أناسا عن مراتبهم ، وعزلوا أفرادا من مناصبهم ، واندردوا آخرين بلاء يحمل بهم ، وبشروا العامة بالخير القريب ، والعز الشديد ، والنعم المقيم ، فذهبت النفوس في فهم ذلك مذاهب ، ووردت منه مشارب ، حتى فسره بعضهم بإباحة الحقوق وإلغاء الاتاوات والضرائب ، وقد انقسم الناس في فهم الدستور إلى أقسام ليس من غرضنا بيانها في هذه المقالة وإنما قول إنه يوجد في البلاد العثمانية كثير من المستخدمين في الحكومة والذين عزلوا بعد الدستور واستقالوا ومن أصحاب النفوذ والجاه — يمتنون الحكومة الحاضرة ويمحنون إلى الاستبداد السابق لا اعتقادهم أنه نبي مالههم ويوسع دائرة جاههم لأنهم يتبعون هوى رؤسائه مهما كان فيه من خراب ذمتهم ودينهم وخراب بيوت معظم الأمة والقضاء العاجل على الدولة . فهو لاء يوسوسون للعامة : ماذا استفدنا من الدستور والحرية ؟ كان يستبد بنا في البلد رجل واحد فصار يستبد بنا جميع الأشياء ومثل

٢٨ الإصلاح الأهم المقدم في السلطنة العثمانية (الملتزج ١٧٢)

هذا الكلام يروج عند العامة التي تنتظر الراحة والسعادة من الحكومة الجديدة اذا لم تكذب هذه الحكومة بالعمل في اقرب وقت

ماذا يجب على الحكومة قبل كل شيء ، الجواب عن هذا السؤال بديهي وهو ان الواجب قبل كل شيء حفظ الأمن العام والحرية الشخصية ولا يتم هذا على وجهه الا بتنظيم الشرطة (الضابطة) ولذلك نرى الولاة والمتصرفين يتعاملون من كثرة الاعتداء بالضرب والقتل فاذا طولوا بترية المجرمين يقولون اننا نتظر التعليمات الجديدة في إصلاح الشرطة من الاستانة في أول السنة المالية القادمة

هكذا قالوا لنا عندما تكلمنا معهم ورأيانهم يعلمون كما نعلم ان من في البلاد من الشحنة والشرطة قد افسد اكثرهم حكم الاستبداد الماضي فصاروا اعوانا للاشقياء والمجرمين ، وقد اقترحنا عليهم ان يستبدلوا شرطة لواء بشرطة لواء آخر فاعتذروا عن ذلك بقلة الرواتب وقالوا ان من يتقل من بلد الى بلد يحتاج الى نفقات جديدة لا يفي بها راتبه وستزاد الرواتب في اول العام القابل فيتيسر نقل هؤلاء الى بلاد لا صلة لهم بأشقيائنا ويكونون تحت مراقبة شديدة

هذا ما ينتظره والي الشام وجميع ولاة المملكة لأجل حفظ الأمن وحماية الحرية الشخصية . ويحسبهم الجمهور غير مباين بما يقع حيناً بعد آخر من الجنايات والمظالمات التي تنبئ بأحقار العامة للحكومة

لولا أن الاجل المضروب للبدء بالإصلاح المطلوب قريب لخشنا ان يفضي إهمال الحكومة للعامة الى الفوضى وان كان أكثر أهالي بلادنا لا يزالون على حظ عظيم من حب السلامة وحسن الاخلاق على ما أفسد الاستبداد من أخلاقهم ، فقد رأينا مثال ذلك في مصر قاتل الجنايات واهلاك الحرث والتسل في القطر المصري أشد وأكثر مما هو في القطر السوري على كون الحكومة المصرية أرقى من الحكومة العثمانية . والسبب في ذلك ما أعطته الحرية العامة من احتقار الحكومة والأمن من سطوتها الا ان تثبت تهمة على منهم في المحاكم مع جهل أكثر الأهالي وإفساد الاستبداد السابق لأخلاقهم ولا تزال الحكومة المصرية في حيرة من أمر

(المنار ج ١ م ١٢) الإصلاح الأهم المقدم في المملكة العثمانية ٢٩

الأمن العام على كثرة بحث أصحاب الجرائد وغيرهم من الكتاب وأهل الاختبار في وسائل ذلك منذ سنين

لو أخذ ولائنا بالحزم في أوائل العهد بإعلان الدستور وساعدتهم جمعية الاتحاد والترقي التي أخذت يدها صولجان السلطة عدة أشهر لدى حكومة الاستانة بأمرها قُبضوا على كل من يرتكب جناية وعجلوا بمجازاته حتى باقتل ان قتل لأراحوا أنفسهم وأراحوا الأمة في الحال بما تشكونه والحكومة في المستقبل مما سوف تشكونه إذا كانت تريد ان تبقى على سياسة الرقة والطف (النزاهة) التي اتبعها منذ أعلن الدستور إلى اليوم وتعيد الأحكام بظواهر ألفاظ القوانين

رأى زعماء سياسة الرقة والطف اننا قد أخذنا الدستور ظليفاً غير ملوث بالدم فيجب ان تبقى سفك الدم في دور الانقلاب ونداري المفسدين والمجرمين الى ان يستقر الدستور في نصابه وهو على نظامه . ولكن هذا الرأي إنما يصح في بلاد يخشى فيها من الفتن والثورات الداخلية إذا فوجئ أهلها بما يكرهون كبلاد الحجاز لا في بر الشام الذي ليس فيه استعداد للثورة ولا خطر في بال أحد من أشقيائه انه يمكن ان يقف في وجه الحكومة بنفسه أو بعصبته اذا هي حاولت ان تسلط العدل على الأخذ بناصيته ١١

ألا إن أكثر زعماء سياستنا ليجعلون حال الأمة في جميع الولايات ويولون عليها من الولاة والمتصرفين من لا وقوف لهم على حقيقة حالها حتى اتى أحسب ان نافلم باشا لا يزال غير محيط علماً بحال ولايتي بيروت وسورية على ذكائه واختباره لما في سني الاستبداد وشهور الدستور فما ظن القاري بأدم بك والي بيروت الجديد الذي كان عائشاً في أوروبا فانتقل منها بعد الدستور الى الاستانة في بيروت ؟ ثم بمثل متصرف طرابلس جاويد بك ؟ وقد يبرز على هذا المتصرف وذلك الوالي ان يعرفوا حال البلاد وأهلها في زمن قريب لطيفين فيهما : عدم التكلم بالعريية ، والعزلة ، فإنهما يكادان لا يكلمان أحداً في غير أمور الحكومة الرسمية في دار الحكومة ، ومن كان هذا شأنه كيف يقف على حقيقة حال البلاد ، ومن لا يقف على حقيقة حالها كيف يسوسها على وجه الحكمة والسداد ؟ ١١

٣٠ الإصلاح الأهم المقدم في المملكة العثمانية (الملتوج ١٢٠١)

يظن امثال هؤلاء انه لا يطلب من الوالي او المتصرف الدستوري الا ان يكون عفيفا مستقيما مراعيًا في سيرته لقوانين وقائمه ان معرفة حال الناس الذين وضع القانون لاجل اصلاح شأنهم مقدمة على معرفة القانون والحرص على تنفيذه لان العدل في التنفيذ لا يكون الا بتطبيق المواد على الوقائع وهذا التطبيق يتوقف على معرفة حال المتلبسين بالوقائع التي تطبق عليها تلك المواد . وان وراء ذلك من الاجتهاد في حسن الادارة مالا تقي عنه القوانين وان فذت بالعدل

يتوهم بعض الولاة والمتصرفين أن للاشقياء الذين اشتدت جرائمهم في عهد الدستور عصابات تشد أزوم وان الحكومة لا تدر على تربيتهم الا بعد تنظيم الشرطة وانها اذا حاولت الآن ان قبض على المشهورين منهم أو تلزم الشراذم الذين هتاتون عليها حدم وتحفظ هيئتها في قوسهم يثورون عليها ويقاومونها بقوة السلاح وان تركهم على ما هم عليه هو الواجب الآن عملا بقاعدة ارتكاب اخف الضررين وهذا وهم باطل بالنسبة الى ولايتي بيروت وسورية فان هذه البلاد وان ساءت حالها وكثر اختلالها في أواخر عهد الاستبداد فهي لم تصل في الشر والبهجة الى هذا الحد الذي قد يتوهمه بعض حكامها

هذا التوهم هو الذي كف أيدي الحكومة الجديدة عن تربية المجرمين فامتدت ايديهم الى ما لم تكن تمتد اليه في عهد الاستبداد حتى صار العقلاء يخشون ان ينفي احتقار الاشقياء للحكومة الى القوضى ، وهم لا يمدرون الولاة على إهمالهم ولا يعرفون سبب هذا الإهمال اذ لو عرفوه لاجتهدوا في إقناعهم بأن البلاد ليس فيها عصابات ذات قوة ولا جمعيات سرية وان الوالي اذا شاء ان قبض على مجرم وينفذ القانون على أي معتد فمل الا ان يفر الشقي الذي تأمر الحكومة بالقبض عليه قبل ان تهمل يدها اليه ، وأنه لا يوجد في مدن سورية كلها شقي تحذته نفسه بأن يعصي على الحكومة جهرا ، او يغري الاهالي بعصيانها سرا ، على ان إقناع هذا لوالي بيروت لأجل حمله على القيام بعمل لحفظ الأمن قديمة من العث فانه لا يتوجه الى عمل ما في ذلك إلا بعد ورود ما ينتظر من تنظيم الشرطة والشحنة في أول السنة المالية القادمة وما هي بعيد

(المنازل ١ م ١٢) الإصلاح الأهم المقدم في المملكة العثمانية ٣١

يجب ان يعدّ الولاة ومن دونهم من رجال الادارة لهذا الإصلاح عدته فانه هو الإصلاح الذي يتوقف عليه كل إصلاح . يجب ان يستخرجوا من المحاكم اسماء المحكوم عليهم بالأعدام وما دونه من المقربات وينفذوا ذلك كله بمقتضى الجسد والحزم ثم يمنحوا الافتئات على الحكومة بالمظاهرات التي لا يبيحها القانون أو يطلب بها ما لا يبيحه القانون ومن أصرّ على غيّه يؤخذ منه باليمين

ويجب على الاستانة ان لا تهيد الولاة بقيود كثيرة وان لا تجعلهم عيالا على نظارة الداخلية في كل شيء . ولا في أكثر الاشياء بل فيما لا بد منه ولا غنى عنه من الأمور الإجمالية . يجب ان يباح لروءساء المحاكم من الولاة وغيرهم الاجتهاد في فهم القوانين وتنفيذها بالمشاورة كل فيما يختص به مع تشديد التبعة (المسؤولية) عليهم وجعلهم تحت مراقبة المجالس العمومية التي يجب توسيع اختصاصها وكذا اختصاص مجالس الادارة . واذا أعيد التفتيش على الولايات يكون للأمة اربعة انواع من الضمان الذي يحول دون استبداد الولاة ومن دونهم من رؤساء الادارة : مجالس الادارة في كل لواء ومركز وناحية والمجالس العمومية في الولاية والتفتيش ، وشدة التبعة يضاف اليها من قبل الأمة نفسها انتقاد الجرائد وما وراءه من إثارة سخط الرأي العام . وكذا يقال في المحاكم مع ما يجب من استقلال القضاء وجعل المحاكم الشرعية المولفة من عدة أعضاء يحكم فيها بالاتفاق او اکثر الآراء وإيجاد محاكم استئنافية شرعية في كل ولاية

هذا ما عنّ لنا ان نكتبه الآن ، ويغلب على ظننا ان حكومتنا تحتاج في تنظيم الشرطة والشحنة الى الاستعانة بالاجانب كما تحتاج الى ذلك في كثير من الأعمال فان الرجال القادرين على الإصلاح عندنا قليلون كما سيظهر بالعمل وندعو الله ان يوفق مجلس الأمة الى خير الإصلاح المستظر



تنبيه الجرائد السورية الى الاعتبار بتاريخ الجرائد المصرية*

اذا كانت تربية الاطفال فنا من ادق الفنون وهو لا يبلغ درجة الكمال على
هناية العلماء والفلاسفة به فاذا قول في تربية الامم ؟
يوجد الوف كثيرة من المريات والمربين في كل امة من الامم المتعددة ولكن
الذين يربون الامم قليلون في كل امة وكل زمان
ان للأمم اطوارا كما ان للأفراد اطوارا، ولا يحتاج المربي للأفراد في طور من
اطوارهم الى العلم الواسع والخبرة الدقيقة والعناية العظيمة كطور الانتقال من المراهقة
الى البلوغ او من التقليد والالزام الى الرشد والاستقلال، وان المربي للامم يكون عند
انتقالها من حكم الاستبداد والعبودية الى حكم الشورى والحرية اخرج من مربى
الأفراد الى العلم والخبرة والبصيرة والحكمة

ان خطباء الامم والقائمين على تربيتها بالارشاد والتعليم وانتقادالحاكمين والعاملين
هم اصحاب الجرائد ، وقد كانت الجرائد العثمانية في مآزق لا تستطيع فيه حرا كما
فخرجت الى مجال فسيح وميدان واسع، ولكن الجولان في هذا المجال والجري في هذا
الميدان لا ينبغي الا للفرسان المهرة، فان الارض على رحبها غير ممهدة ، والطرق على
سعتها غير ممسدة، فامام من يريد الجولان عواثير يخشى عليه من التردى فيها، وعقبات
يصبب اقتحامها ، واعلام مشتبهة لا يؤمن الضلال بينها

فنون الكلام في الجرائد كثيرة، والانتقاد ادقها مسلكا واصعبها مربكا وأشدّها على
النفوس وقعا واكثرها ضرا ونقعا، فمن وظائف الجرائد نقد الحكم والاحكام، وقد
العمال والاعمال، وقد العلماء وكتب العلوم، فلا شيء الا وهو معرض لقدحهم، فان احسن
كتّابها النقد كانوا خير العون على الاصلاح، وان اسوأ كانوا من عوامل الفساد

(*) نشرناها أولا في جريدة «ابابيل» اليهودية وقتلها عنها جريدة الاتحاد العالمي

(المناج ١ م ١٢) الجرائد المصرية . تأثيرها في النهضة العلمية ٣٣

والافساد ، لا سيما في مثل الطور الذي دخلت فيه الامة العثمانية الآن لا يعرف أحد كنه تأثير الجرائد في مثل هذا الطور كما يعرفه أهل البصيرة الذين خبروا بأنفسهم أمة كان الاستبداد يسومها سوء العذاب، فانتقلت الى الحرية فجأة ووجد فيها جرائد كثيرة مرخية العنان مطلقة من القيود ورأوا باعينهم ما كان لها من التأثير في تلك الامة . وان هذا الوصف ليصدق على بعض العثمانيين الذين اقاموا في القطر المصري زمنا طويلا موجهين عنايتهم الى اكتناه احواله الاجتماعية فاذا اشتغل هؤلاء بالصحافة العثمانية رجونا ان يفيدوا الامة جميعا

لقد نفعت الجرائد في مصر كثيرا واضرت كثيرا ، واذ كر على سبيل العبرة للجرائد السورية مثالا من نفعها ومثالا من ضررها :

ان للجرائد المصرية احسن الاثر في النهضة العلمية في القطر المصري حيث صار الموسرون يتبارون في دفع الوف من الجنيهات لانشاء المدارس ، ويقفون عليها وعلى الجمعيات التي تقوم بادارتها الاراضي الواسعة ذات الريع العظيم ، وقد كانت اشتراك الجمعية الخيرية الاسلامية لا يخرج من كيس الغني الكبير منهم الانكدا بعد مطالبات كثيرة ، وما ذلك الا جنيهاً أو أربعة جنيهاً في العام .

لم يكن الحث على انشاء المدارس والدعوة الى التربية والتعليم غرضاً خاصاً للجرادة من تلك الجرائد، ومذهبا ملتزما تدعو اليه وتجعله مداراً لنهضة الامة وسعادتها الا مجلة المنار التي صرح في فاتحة العدد الاول منها بهذه الكلمة : « وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين » ثم كنا نستطرد من كل موضوع يكتب فيها الى الحث على التربية والتعليم . ولا أريد بهذا الاستثناء ان انيط بالمنار ما ذكرت من النهضة العلمية فادعي انه هو روحها الذي به حياتها ونماؤها . بل لا أنكر ان الجرائد اليومية أعم تأثيراً منه في ذلك ، ناهيك بنشرها لاسماء المتبرعين بما قل أو كثر مع الحمد والثناء . ولو انها جعلت الدعوة الى ذلك مذهباً متبعاً ومشرعاً ، وروداً لكان النفع اعظم ، ولكن شغلتها السياسة عن ذلك وهو أنفع لهم في سياستهم

فهل للجرائد العثمانية ان تعتبر بهذا فتجعل الدعوة الى التربية والتعليم ديدنها ،

(المناج ١) (٥) (المجلد الثاني عشر)

٣٤ الجرائد المصرية . ضررها في نقد الحكومة (الملتاح ١ م ١٢)

والحث على التبرع لذلك وتأسيس الجمعيات لاجله مذهبها الذي توجه الى نشره
جل عنايتها ؟ فاذا كان للجرائد المصرية بعض العذر في جعل جل همها في السياسة
فان جرائد سورية لا نصيب لها من هذا العذر ، لانه ليس في بلادها سلطان متعارضتان
احدهما اجنبية ييدها الحل والمقد بالفعل ، والاخرى رسمية لها الاسم ومالا يعارض
سياسة الاولى من الفعل . على اننا قد نبهنا اصحاب الجرائد السورية الى تقصير
الجرائد المصرية في الدعوة الى التربية والتعليم على الوجه الذي هو ارجى
لتكوين الامة وجعلها امة عزيزة مستقلة في نفسها استقلالاً يفضي الى استقلالها في
احكامها وسياساتها

هذا : وأما المثال لضرر الجرائد المصرية فهو طريق انتقادها ولا سيما للحكومة ، فقد
سلك اكثرها فيه مسلكاً سقطت هبة الحكومة من النفوس بعد ما كان لها من هياكل
العظمة في كل خيال ، وشعور الخشية والبأس في كل قلب ، فوثبت الجرائد بالشعب
المصري من طرف الى طرف ، من غير ان تمر به على الوسط أو ما يقرب من الوسط .
ذلك المسلك هو اتهام الحكومة بمشايعة الانكليز على ما يريدون من السوء
بالبلاد ، فكان أولئك الكتاب ينحون بقدمهم وطعنهم على الوزارة « مجلس النظارة »
في الجملة وعلى رئيسها وافرادها وعلى المديرين وغيرهم من رؤساء الاعمال في
التفصيل ، فذلك الانتقاد أو الطعن كان الغرض منه تأييد سياستهم في مقاومة الاحتلال
والتشفي من الانكليز وبيان ان الامر كله في أيديهم وتبعته عليهم ، وان النظاروسائر
الموظفين المصريين آلات صماء ، تحركها هذه الايدي كما تشاء ، ولكن فيما يضر البلاد
ولا ينفعها وفيما يسلب السلطة الشرعية من أميرها ، وهو الذي يريد لها الخير لولا
انه عاجز عنه . وكان يقوم في وجه هذه الجرائد الكثيرة جريدة أو جريدتان أو
ثلاث تندد بالامير وابطائه ، وتلمز ذلك المقام بما ينخفض من قدره — فبذلك كله زالت
هبة الامير وحكومته الرسمية من النفوس ، فتجرأ الاشقياء على السلب والنهب ،
واهلاك الحرث والنسل ، وكثرث الجنايات في الارياض حتى ان الحكومة لاتزال في
حيرة من حفظ الامن الى هذا اليوم

نم انه قد استقر في أذهان جميع المصريين ان الامر كله للانكليز ، وأنهم

(الماراج ١ م ١٢) خطأ الجرائد المصرية . انتقاد الحكومة . طريقته ٣٥

يستطيعون ان يفعلوا ما أرادوا من حيث لا تستطيع الحكومة المصرية من دونهم شيئاً ، ولكنهم علموا مع هذا أن الانكليز لا يحفلون بالمسائل الجزئية التي تتعلق بافراد الاهالي وانما يكون الامر فيها الى الحكومة المصرية تنظر فيها بحسب القوانين ، فلا يستطيع المأمور ولا المدير ولا رئيس النيابة (المدعي العمومي) ولا القاضي ان يعاقب جانياً الا اذا ثبتت جنايته في المحكمة ، وقلاً يقدم الجناة على عملهم الا وهم آمنون من ثبوتهم عليهم ، فاختلال الامن في القطر المصري نشأ من سقوط هيئة الحكومة من نفوس العامة ، والتطرف في الحرية والانتقال من حكومة استبدادية عرفية ، الى حكومة قانونية حرفية ، اي يجري فيها الحكم على ظواهر الفاظ القانون من غير تطبيق على المصلحة العامة التي وضع لاجلها القانون . وما كان لاكثر الجرائد من عمل في ذلك الا ما ذكرنا ، فما كان من خطأ يقع كانوا يحملونه على سوء النية من الحكومة ، وما كان من صواب يسكتون عنه او يحملونه على غير محله ، حتي كانوا ربما يطعنون في أنفع الاعمال كانشاء الخزان في اسوان — فلماذا ولغيره من الخطأ الذي لا يتسع هذا المقال لشرحه كان الاستاذ الامام يقول « جرائدنا احدى بلايانا »

فيجب ان تعتبر الجرائد السورية بخطأ الجرائد المصرية التي سبقها في الاستقلال والحرية كما تعتبر بصوابها ، فكما يجب عليها ان تتخذ لها مذاهب في الاصلاح الاجتماعي لا تشغلها عنه السياسة يجب عليها أن تتخذ لها اسلوباً حكيماً في انتقاد الحكومة يرجي نفعه ولا ينجش ضرره ، ويجمع بين حفظ هيئتها في نفوس العامة من حيث هي امينة على مصالحها ومنفذة لشرعيتها وقوانينها التي اقرها نوابها ووكلاؤها ، وبين تكريم الامة واعلاء شأنها وغرس مبادئ الحكم الذاتي في نفوسها .

كيف تنتقد الحكومة

تنتقد اعمال الحكومة لغرضين شريفين : أحدهما وهو الاصل صيانة الحقوق وحمل الحكم على العدل واداء الأمانة بالتزام الشريعة وتطبيق القانون على المصلحة العامة . وثانيهما عرضي تمس اليه حاجة الامة أو ضرورتها في مثل الطور الذي نحن فيه الآن في بلاد الدولة عامة والقطر المصري خاصة ، وهو بث مبادئ الحكم الذاتي في نفوس الامة (أي حكم نفسها بنفسها)

٣٦ انتقاد الحكومة . طريقته . ضرر الطعن فيها (الماراج ١٢م)

اما الأول فطريقته ان يبحث الكتاب عن الاعمال والاحكام ، ويدينون ما يجب يانه في انطباقها على الشرع والقوانين وعدمه من غير بذاء ولا استعلاء ولا طعن يسقط المهابة ويذهب باحترام الحكومة من نفوس العامة . وانما نغني بالاعمال اعمال الحكومة دون الاعمال الشخصية التي لا دخل لها ولا تأثير في المصالح العامة .

ومن كان مخلصا في انتقاده يتحرى الحق فيه ، فاذا ظهر له انه اخطأ فيما كتبه رجع عنه رجوعا صريحا وبين سبب خطئه الاول ومشرق انبلاج الصواب له وبذلك يكون كلامه مؤثرا في القلوب ذا سلطان على النفوس فيقدره قدره الحاكمون ، فاذا لم يرجع به المسمي ، عن غيه آخذه رؤساؤه على سوء فعله ومن آيات الاخلاص ان يسعى مريد الانتقاد ان تيسر له كأن يراجع الحاكم فيما يرى انه يسيء أو يجور فيه ، فان تم له ذلك والا لجأ الى الانتقاد وينبغي ان يبدأ بالرمز والتلويح ، ثم يترقى في سلايم التصريح ، فاذا استقام الجائر ، وعدل الظالم ، وجب ان يقف الناقد عند الدرجة التي ارتقى اليها في تقده ثم يثني على العمل الذي يستحق الثناء .

ومما يتحتم مراعاته ان تكون الفقرة التي ينتقد بها القضاة ورؤساء الادارة بحيث يفهمها الخاصة دون العامة ، كأن تورد بضروب من المجاز والاستعارة وتستعمل فيها الالفاظ الغريبة لئلا تزول مهابة الحكومة من نفوس العوام وتقل ثقتهم بالقضاء ويعتقدوا انه لا سبيل الى قضاء مصالحهم الا بالرشوة ، ويطمع المبتطلون منهم بهضم الحقوق ويضري الاشقياء ، بالتعدي على الضعفاء ، اعتمادا على ضعف الاحكام أو ظلمهم وإنما يجب مراعاة ما ذكر في انتقاد من يسيء مستخفيا ، واما من يجهر بالسوء ويعرف عنه الظلم فأولئك هم الذين لا تحفظ لهم حرمة ، ولا ترقب فيهم ذمّة ، فيجبر الكتاب بانتقادهم ، ويحزضون الامة على الشكوى منهم ، اذا لم يبادر رؤساؤهم والمفتشون عليهم الى النظر في أمرهم ، ولتكن الشكوى الى المجالس العمومية في الولايات ثم الى مجلس المبعوثان في الأستانة بعد مراعاة ما اشترطه القانون الاساسي في ذلك اما الطعن في الحكومة على الاطلاق فضرره عظيم جدا في مثل بلادنا ولا سيما

(المنار ج ١ م ١٢) التبرع من الحكومة . الخطأ فيه ٢٧

في أول العهد بالانقلاب كهذا الزمن . مثال ذلك طعن المثقفين أو الرجعيين (على الخلاف بين كتاب العرب وكتاب الترك في لقبهم) في حكومة الشورى الحاضرة من حيث شكلها والاستدلال على ذلك بالخلل والفساد الذي أظهرته الحرية في الأمة والحكومة جميعاً بزعمهم، وما هو إلا من رزايا الحكومة السابقة التي يتعذر تطهير الأرض من تنبها في بضعة شهور أو بضع سنين ومن أمثلته استبطاء كثير من المحيين للحكومة الحاضرة لأعمال مجلس الأمة وإظهارهم قلة الثقة به وشكهم في أنفسهم وتشكيكهم للناس في قدرته على القيام بما عهد إليه من إصلاح حال الدولة، وترقية شؤون الأمة، وما ذلك إلا لجهلهم بحاله وبحال الحكومة التي ينظر في أمر إصلاحها

أن مثل مبعوثينا ونوابنا في مجلسهم كتل مهندس كلف وضع رسم أو رسوم لبناء بلد مسيني « لا مسينا كما تضبطه الجرائد » قد دمرته الزلازل وإن يستحضر البنائين لإعادة بنائه على أحسن مما كان عليه، ويراقب عملهم إلى أن يتم ثم يكون أمينا عليه حافظا له فأراد أن يشرع في العمل فوجد معظم اقتاض البلد مقفودة قد تلف بعضها وسرق بعض ولم يجد من البنائين المهرة والصناع والتجارين عددا كافيا للأسراع في المهارة !! فهل يلام المهندس ويرمى بالتقصير وحده وينسى ذلك الزلزال الذي دمر البلد وأولئك الاصوص الأدياء الذين كانوا ينهبون اقتاضه وما يهباً لبنائه !!؟

ألا إن عذر مبعوثينا أظهر من عذر ذلك المهندس، فإن زلزال الاستبداد قد توالى على المملكة العثمانية من زهاء ثلاثة أجيال، وقد اشتد في عهدنا هذا من أول هذا القرن الهجري حتى كاد يجهل المملكة أثرا بعد عين. وقد كان أكثر رجال حكومتنا في ذلك الدور كأولئك التحوت الذين اقترصوا زلزال (مسيني) فسارعوا إلى نهب كل ما وصلت إليه أيديهم الأثيمة من أموال المالكين والمشرفين على الهلاك فماذا عسى أن يفعل نوابنا في أيام أو شهور؟

قال أمامي بعض هؤلاء المتقدين الطيبة قلوبهم النائمة عقولهم أوالقليل اختبارهم: إن بعض المبعوثين يسأل في المجلس أسئلة سخيفة تدل على أن مجلسنا في سن

٣٨ الحكومة العنانية . تقصيرها في حفظ الأمن (المارچ ١ م ١٢)

الطفولية ! قلت هل كان فيها أسخف من سؤال بعض نواب الانكليز في مجلسهم الذي هو أعلى وأرقى مجلس نيابي في الأرض عن الكنف (المراحض) في القاهرة وكونها قليلة أو غير موجودة في الأحياء الوطنية ! !

ومن أمثلة الانتقاد المطلق في الحكومة الحاضرة ما يلج به الناس من جميع الطبقات في جميع البلاد من تقصيرها في حفظ الأمن وإرسالها حبال الأشقياء على غواربهم ، وهذا الانتقاد واقع ماله من دافع لظهور موجبه لكل أحد ، وهو هو علة الانتقاد الذي ذكر قبله ، ولأمر ما كان كلام الجرائد فيه دون كلام الناس في أنديتهم وسماهم ويوتهم وسائر مجامعهم وفي الطرق والأسواق ! .

وإذا طال العهد على هذا الإهمال فأتني أخشى ان يتفاقم أمره ، ويستشري شره ، وقد كلمت فيه والي بيروت قبلاً « والي سورية الآن » والي بيروت الآن والمدعي العمومي لولاية بيروت ومتصرف طرابلس فرأيتهم ينتظرون أول السنة المالية التي قربت خطواتها لأصلاح حال الشحنة والشرطة والدخول على حفظ الأمن من بابه ان عذر الولاية والمتصرفين في التقصير في حفظ الأمن محصور في ظهم انه لا يمكن بطريقة قانونية لا استبداد فيها ولا ظلم الا بعد تنظيم الشرطة وإيجاد قوة عسكرية كافية لتلافي ما ربما يحدث من الثورات الداخلية ، وهو عذر مبني على عدم اختبار حال البلاد في مثل ولاية بيروت فقاسوها على مثل ولاية الموصل وعلى حوران من ولاية سورية ، ويعسر علينا إقناعهم بان هذه البلاد لم تصل الى هذه الدرجة من الشر والفساد ، وانه لا يوجد فيها احد من الأشقياء يفكر في مقاومة الحكومة قط ، وان اي وال أو متصرف أخذ بالحزم يسهل عليه ان يحفظ الأمن . على ان من يقنع منهم بذلك لا يتجراً على الأقدام عليه وتحمل تبعته في عهد هذه الحكومة ولا سيما مع بقاء الاسانة مستأثرة بالسلطة العليا ومقيدة لسلطة الولاية بله المتصرفين فمن دونهم ! اذا طال العهد على الحال التي نحن عليها - وما هو بالذي يطول ان شاء الله -

يتقوض بناء مهابة الحكومة من نفوس العامة فلا يبقى منه شيء ، وتصير البلاد فوضى ، ولولا ان سلامة القلوب ومحاسن الاخلاق لا تزال ذات السلطان الغالب في بلادنا لكانت بضعة شهور كافية لانتشار الفوضى وطعم الأشقياء في الخروج على

(المناج ١ م ١٢) انتقاد الحكومة لتقوية الحكم الذاتي في الأمة ٣٩

الحكومة ولكن شيئا من ذلك لم يكن ولن يكون ان شاء الله تعالى
ان الحكومة قادرة الآن على التنكيل بالاشقياء فكيف بها بعد التنظيم الذي
اظننا زمانه وادركنا ابانه . وان ما حصل طبيعي في طور الانقلاب فما هو بالامر الغريب
الذي يبيع للناس ولا للجرائد الطعن في الحكومة على الاطلاق
اذا رأينا بعد استقرار الحكومة الجديدة واقامة النظام المنتظر عجزا عن حفظ
الامن في ناحية لسوء ادارة مديرها او في قضاء لجهل القائما او في لواء لضعف
المصرف او في ولاية لعله في الوالي - فانا نسعى لدى مرجع كل واحد من هؤلاء
لاستبداله ، اذا اعوزنا اصلاح حاله ، ولا نطعن في الحكومة طعنا مطلقا يذهب بثقة
العامة بها ، ولا نتهمها بالخيانة والفساد ، ولا نرميها بالعجز والضعف ، فان ذلك كله
نسوء عاقبته على كونه لا يمكن أن يكون صحيحا على اطلاقه

حسبنا هذه الكلمات في بيان الفرض الاول من غرضي الانتقاد الصحيحين
فان المخاطب بها هم الكتاب الالباء واللييب تكفيه الاشارة

واما الفرض الثاني من ذينك الفرضين وهو تقوية روح الحكم الذاتي في
الامة فقد يحتاج اليه في البلاد المصرية اكثر مما يحتاج اليه في البلاد السورية ، لمكان
الظنة في استئثار الانكليز بالسلطة وجعل المصريين الآن في أيديهم . ومع ذلك
نرى الجرائد المصرية قد قصرت فيما يجب عليها من الرمي الى غرض نفوذ الامة
فكان معظم نضالها أو جميعه دون نفوذ الامير نفسه ، أي لتقرير الحكومة الشخصية
والانتقال من استبداد أجنبي محدود إلى استبداد شخصي وطني لا حد له . الا انه
قد كثر خوض هذه الجرائد في هذه السنين الاخيرة في طلب المجلس النيابي لمصر
وكون ذلك موافقا لرغبة الامير في رأي بعضها . ولكن الصحيفة المصرية التي
اتخذت تقوية سلطة الامة نفسها مذهبها تراعيه في انتقادها على الحكومة هي (الجريدة)
التي أسسها جماعة من الوجهاء وأهل الرأي تنفيذا لما كان دعاهم اليه الاستاذ الامام
في آخر حياته . ويعلم الله ان هذا ما كنت اقترحه عليه من بضع سنين حتى اتني
كنت قد اخترت له المحررين ووضعت له الميزانية بعد المذاكرة الطويلة معه في
المذهب السياسي — وهو سلطة الامة وفي المنهاج الاجتماعي الأدبي وجعله في

٤٠

ما يجب على الجرائد

(الماراج ١٢م١)

انتقاد الاخلاق والعادات . فهل للجرائد السورية ان تفكر في هذا وتقدمه حق قدره ؟
ان الجرائد العثمانية كلها تحتاج الى انتقاد الحكومة فيما يختص بسلطة الامة
عند وضع بعض القوانين التي تقوي سيطرة الحاكم وتضع العثرات في سبيل الامة
كقانون المطبوعات وقانون الجزاء (العقوبات) وقانون المعارف ولوائحها ونظام
مدارسها ، بل يجب ان تنتقد مجلس الامة اذا لم يجعل تنقيح القانون الاساسي مقيدا
للحكم الشخصي ، مطلقا لحكم الشورى من تلك القيود المعروفة ، واذا نازعت الحكومة
فيما يقوي به سلطة الامة وجب على الجرائد ان تحمل عليها حملة شعواء ، وان لا
ترضي اقلامها بما دون الطمنة النجلاء .

كذلك يجب على الجرائد في كل ولاية ان تنتقد الولاة اذا هم حاولوا الاستبداد
في أمر المجالس العمومية ومجالس الادارة أو اظهروا التعصب لجنسهم كتعصب
التركي للترك والعربي للعرب فان العصبية الجنسية من الحكام تضعف الجماعة
العثمانية وتحدث فيها الاحداث والمفاسد

ولا يجوز بحال من الاحوال ان تهم الحكومة في جملتها بهضم حقوق الامة
وكراهة حكمها الذي هو حكم الشورى ، وان كان الكثيرون من الوجهاء والرؤساء
السابقين قد قل اتفاعهم وتقص ما لهم وجاههم في عهد الحكومة الحاضرة ، فهم يحنون
الى الاستبداد ويتمنون الرجوع اليه حتي صارت جرائد الاستانة تسميهم الرجعيين .
فمن بقي في الحكومة من هؤلاء ومن يدخل فيها على عهد الدستور للجهل بحالهم
أو للحاجة اليهم على عوجهم لا يألون جهدا في الاستبداد إذا وجدوا منفذا من
المنافذ ، وأمنوا المراقب والمؤاخذ

فمن أقدم وظائف الجرائد وواجباتها ان تتبع عوارهم ، وتقلم اظفارهم ، وتكبت
انصارهم ، مع مراعاة ما أشرنا اليه من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بانّي أحسن
كما أرشدنا الذكر الحكيم . وليكن الاخلاص رائدنا ، وإيثار المصلحة العامة غايتنا ،
فلا شيء أنفع وأرفع من العمل لخير الناس ، ولا مرشد إلى ذلك أهدى من الاخلاص .

باب المراسلة والمناظرة

﴿ شيخ الاسلام ابن تيمية وما قيل فيه ﴾

غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار المنير بمصر

سلام الله عليكم ورحمته، ولا زلت في نعيم مقيم

سيدي: من العجب انكم لم تعرضوا لما قاله ابن حجر الفقيه في فتاويه الحديثية من الطعن على ابن تيمية بالتفصيل الشافي المعهود من حضرتكم ومحكمة ابن حجر فيما قاله حتي يتبين الرشد من الغي ! . وهنا نجد اكثر الجامدين من اصحاب العمام يتمكنون بتنفير البسطاء عن مطالعة المنار لكونه ينقل عن ابن تيمية وان المنار يلقيه بشيخ الاسلام ناسياً ما قاله ابن حجر في فتاويه حيث يقول « عبد خذله الله تعالى واضله واعماه واصمه وأذله »

وتجدد محب المنار الغير المطلع على اقوال ابن تيمية التي اوجبت خذلانه وانحرافه عن الطريقة الجادة يلتجئ الى السكوت . نعم ربما انه سبق لحضرتكم كلام في بعض أجزاء المنار السابقة بخصوص هذه المسألة . « لان مثل هذا مما لا يحسن سكوت حضرتكم عنه كل هذه المدة »

ولكن يتجدد قراء كثيرون في المنار في كل عام وكثير منهم لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم للاطلاع وذلك يلجئكم ان توضحوا المسألة ثانياً . وقد بلغني أن كثيراً من العلماء العظام اتقدوا كلام ابن حجر . فهل لسيدي نقل بعض اقوالهم ؟ ولكم من الله جزيل الفضل ومنا الشكر .

ع . س (دلي - سمطرا)

(المنار) لا غرابة ولا عجب في عدم تعرضنا لما ذكرتم قبل ان نُسأل عنه ، على اننا كنا

(المجلد الثاني عشر)

(٦)

(المنار ج ١)

٤٢ ابن تيمية . مخالفوه . سبب قيامهم عليه (المارج ١ م ١٢)

عازمين على كتابة ترجمة لابن تيمية بعد إتمام ترجمة الغزالي . ويغلب على ظننا ان الفقيه ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى لم يطالع على كتب ابن تيمية وانما رأى ما انتقده عليه بعض معاصريه كالشيخ تقي الدين السبكي وغيره فانكر ذلك عليه ولا يبعد ان يكون بعض المفسدين قد دس في كلام ابن حجر ذلك السباب والشتم الذي يجلب مثله عن مثله وذلك مما حدث كثيرا كما بينه الشعراني في كتاب اليواقيت والجواهر وغيره حتى ذكر ان بعض كتبه نسخ في عصره ودست فيه ضلالات كثيرة ولم يقتنع العلماء بأن تلك الضلالات من دسائس المفسدين الا بعد أن أبرز لهم ما كتبه بخطه . ويظهر انه لم يطالع أيضا على ما قاله حفاظ الحديث والعلماء والمؤرخون في الثناء على ابن تيمية بما لم يشنوا بمثله على أحد حتى شهد له معاصروه ومناظره بالوصول الى رتبة الاجتهاد المطلق ومن كان كذلك لا بد ان يخالف غيره من المجتهدين في بعض المسائل . ويعز على الفقهاء المقلدين ان يوجد في عصرهم من يخالف أئمتهم بل من دون أئمتهم ممن يجلون من الميتين حتى كأن الموت يجعل العالم معصوما . ولذلك ترى ان سبب قيام الشيخ كمال الدين الزملكاني والشيخ نصر بن المنبجي علي ابن تيمية هو إنكاره على الشيخ محيي الدين بن عربي، وسبب قيام ابي حيان عليه هو إنكاره على سيدييه وتخطئه له . فهو لاء الثلاثة والشيخ تقي الدين السبكي هم اعظم العلماء الذين انكروا عليه في عصره ومن اسباب حقهم عليه تشدده في الانكار عليهم هم فيما اتصروا به لا بن عربي وسيدييه ولكن كل واحد منهم قد اثني عليه ثناء عظيما قبل وقوع النفور بينهم كما سيأتي

وقد ألف بعض العلماء كتباً خاصة في الثناء على ابن تيمية والاتصاف له، منها (القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) للعلامة المحدث السيد صفى الدين الحنفى البخاري نزيل نابلس . ومنها (جلاء العينين في محاكمة الاحمدين) اي احمد بن تيمية واحمد بن حجر واننا نقل عن كل منهما طائفة من القول عن العلماء في ترجمة ابن تيمية قال صاحب القول الجلي في أول كتابه ما نصه :

« ولد رحمه الله تعالى في عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وست مئة وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ وبرع في التفسير وأقوي ودرس وله

(المناج ١٢م) الحافظان الذهبي والمزي . تقرّيهما ابن تيمية ٤٣

نحو العشرين ، وصنف التصانيف وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه ، وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراسة وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين . وكان يتوقد ذكاء وسمع من الحديث أكثره ، وشيوخه أكثر من مئتي شيخ ومعرفة بالتفسير إليها انتهى وحفظ الحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يباحق فيه . وأما نقله للفقهاء ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل فلا أعلم له فيها نظيرا ، ويدري جملة صالحة من الأئمة ، وعرفته قوية جدا ومعرفة بالتفسير والتاريخ فعجب عجب . انتهى ملخصا من كلام شيخ الإسلام أبي عبد الله الذهبي فيما نقله عنه الحافظ الكبير ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي

قال الحافظ الذهبي الدمشقي الذي قال فيه الحافظ ابن حجر هو من أهل الاستقراء التام في تقدمه الرجال وتبعه على ذلك الحافظ السيوطي فيما نقله الحافظ ابن ناصر الدين : ابن تيمية أكبر من أن ينه مثلي على نعوته فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله ولا والله هو ما رأى مثل نفسه في العلم وقال الحافظ شمس الدين السخاوي الشافعي في فتاواه في حديث « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » وفي حديث « كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين » حيث أجاب باعتماده كلام ابن تيمية في وضع اللفظين ونهايك به اطلاعا وحفظا أقره بذلك المخالف والموافق قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا

وقد قال فيه الحافظ الذهبي ما رأيت أشد للتمون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة

وقال حافظ الإسلام الخبر النبيل أستاذ أئمة الجرح والتعديل شيخ المحدثين جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن الركن عبد الرحمن المزي الشافعي فيما نقله عنه الحافظ ابن ناصر الدين : ما رأيت مثله بعيني ابن تيمية ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أتبع لهما منه . اهـ وقد تقدم عن الحافظ الذهبي نحوه ونهايك بهذا الكلام من الحافظين العدلين المستوعين أبي الحجاج المزي وأبي عبد الله الذهبي

٤٤ ابن تيمية . القائلون باجتهاده . ما أنكر عليه (المنارج ١٢م)

وقال الشيخ الإمام بقية المجتهدين تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي لما اجتمع به وسمع كلامه : كنت أظن ان الله تعالى ما بقي يخلق مثلك . وقال أيضا : رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد . ذكره الحافظ المذكور وقال الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي : وبالجملة كان رحمه الله تعالى من كبار العلماء ومن يخطئ ويصيب ولكن خطأه بالنسبة الى صوابه كقطعة في بحر لجي وخطوئه أيضا مغفور له لما صح في صحيح البخاري « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر »

وقال الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وآله وسلم . وما قاله في غاية الحسن والحافظ المذكور ثقة حجة باتفاق وقد ترجمه الحافظ ابن حجر بترجمة جليلة جدا فلا التفات الى ما نقله عنه الشيخ تقي الدين الحصني . نعم كان يقول بقول الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق فأوذى بسببه ومع انه خالف الائمة الاربعة في ذلك فلم يتفرد به كما هو مبين في موضعه وهو وان كان خطأ فاحشا فلا يوجب التفسير فافهم

(فان قلت) ما ذكره الامام الحافظ ابن كثير مبني على ان الشيخ قد بلغ رتبة الاجتهاد وأناى له بهذه المرتبة وقد انقطع الاجتهاد من زمان طويل !! (قلت) وقد نص على انه بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء منهم الامام أبو عبد الله الذهبي فيما ذكره ابن ناصر والحافظ ابن حجر كما سيأتي والحافظ السيوطي في طبقات الحفاظ فيما أحفظ ولم يتفرد بمسئلة منكرة قط وان كان قد خالف الائمة الاربعة في مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين ومن اشنع ما وقع له مسألة تحريم السفر الى زيارة القبور وقد قال به قبله أبو عبد الله ابن بطة الحنبلي في الابانة الصغرى وسند كره عن قريب إن شاء الله تعالى

وقال الحافظ ابن حجر فيما كتبه على الرد الوافر لشيخ الاسلام الحافظ الهام ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي مانصه : ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة مرارا بسبب أشياء أنكروها عليه من الاصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة ودمشق ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا أفتى بسفك

(الناشر ١٢ م) ابن تيمية وابن القيم - شهادة الحافظ ابن حجر لها ٤٥

دمه مع شدة المتعصين عليه رحمه الله من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة ثم
بالأسكندرية ومع ذلك فكلهم معترف بسمعة علمه وورعه وزهده ووصفه بالسخاء
والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الإسلام والدعاء إلى الله في السر والعلانية
فكيف لا ينكر على من أطلق عليه أنه كافر بل من أطلق على من سماه بشيخ الإسلام
الكفر وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك فإنه شيخ الإسلام بلا ريب والمسائل التي
أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ولا يصح على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً،
وهذه تصانيفه طلائع بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرئ منه ومع ذلك فهو بشر
بخطيء ويصيب، فالذي أصاب فيه وهو إلا كثير استفاد منه ويترحم عليه بسببه، والذي
أخطأ فيه لا يقلد فيه أي كسئلة الزيارة والطلاق بل هو معذور لأن أئمة عصره شهدوا
بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتى كان أشد المتعصين عليه والقائمين في إيصال
الشر إليه وهو الشيخ كمال الدين الزمكاني يشهد له بذلك، وكذا الشيخ صدر الدين
ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره. ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان
اعظم الناس قياماً على أهل البدع من الروافض والحلولية والأتحادية وتصانيفه في ذلك
كثيرة شهيرة وفتاواه فيهم لا تدخل تحت الحصر، فياقرة أعينهم إذا سمعوا تكفيره
ويأسروهم إذا رأوا من يكفر من لا يكفره. فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له
عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشتهرة أو من السنة من يوثق به من
أهل القل فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر من ذلك على قدر قصد النصح ويثني
عليه بقضائه فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء، ولولم يكن للشيخ هي الدين
من المناقب إلا تلميذه الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف
النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظمته
منزله فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره
من الشافعية وغيرهم فضلاً عن الحنابلة. فالذي يطلق عليه مع هذه الأشياء الكفر أو
على من سماه شيخ الإسلام لا يلتفت إليه ولا يعول في هذا المقام عليه بل يجب ردعاً
عن ذلك إلى أن يراجع الحق ويدعن للأصواب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
حسبنا الله ونعم الوكيل

وقال شيخ الاسلام صالح ابن شيخ الاسلام عمر البقيني رحمه الله تعالى فيما كتبه على الكتاب المذكور - : ولقد افتخر قاضي القضاة تاج الدين السبكي في ثناء الائمة عليه بان الحافظ المزني لم يكتب لفظة شيخ الاسلام الا لأبيه وللشيخ تقي الدين ابن تيمية وللشيخ شمس الدين ابي عمر فلولاً ان ابن تيمية في غاية العلو في العلم والعمل ماقرن ابن السبكي أباه معه في هذه الثقة التي قلها ، ولو كان ابن تيمية مبتدعاً أوزنديقاً ماوضي أن يكون أبوه قريناً له . نعم وقد ينسب الشيخ تقي الدين لاشياء أنكرها عليه معارضوه وانتصب للرد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في مسألي الزيارة والطلاق وافرد كلا منهما بتصنيف وليس في ذلك ما يقتضي كفره ولا زندقته أصلاً وكل أحد يوخذ من قوله أو يترك الا صاحب هذا القبر » (١) والسعيد من عدت غلطاته ، وانحصرت سقطاته ، ثم ان الظن بالشيخ تقي الدين انه لم يصدر ذلك فهو راوعدوانا ، حاش لله بل لعله لرأي رآه واقام عليه برهاناً ، ولم تقف الى الآن بعد التروي والفحص على شيء يقتضي كفره ولا زندقته ، وانما وقفت على مارده على أهل البدع والاهواء أو غير ذلك مما يظن به براءة الرجل وعلي مرتبته في العلم والدين . وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل متعين قال الله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟) وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا - وفي رواية --- حق كبيرنا » وكيف يجوز ان يقدم على رمي عالم بفسق أو كفر ولم يكن ذلك فيه انتهى

قلت وسند كر ان شاء الله تعالى قريبا ما يكون صريحاً في تنزيهه عما نسب اليه من التشبيه والتجسيم

وقال قاضي القضاة عبدالله التهتي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي فيما كتبه على الكتاب المذكور : ان الشيخ تقي الدين كان على ما نقل اليانا من الذين عاشروه وما اطلعنا عليه من كلام تلميذه ابن قيم الجوزية الذي صارت تصانيفه في الآفاق عالماً متعباً مقللاً من الدنيا معرضاً عنها متمسكاً من إقامة الأدلة على الخصوم وحافظاً

(١) حكاية لكلمة الإمام مالك التي كان يقولها في الحرم المدني ويشير الى

القبر الشريف

(الناشر ١٢) شيخ الإسلام العيني والبساطي . مدحها ابن تيمية ٤٧

للسنة عارفاً بطرقها عارفاً بالأصاين أصول الدين وأصول الفقه قادراً على الاستنباط في تخرج المعاني لا يلومه (له لا تأخذه) في الله لومة لائم على أهل البدع المجسمة والحولية والمعتزلة والروافض وغيرهم (قال) فمن كان متصفاً بهذه الأوصاف كيف لا يلقب بشيخ الإسلام بأي معنى أريد منه؟! (قال) وإنما قام عليه بعض العلماء في مسألي الزيارة والطلاق وقضية من قام عليه شهوده . والمسألان المذكوران ليستا من أصول الأديان وإنما هما من فروع الشريعة التي أجمع العلماء على أن الخطيئة فيها مجتهد يثاب لا يكفر ولا يفسق . الخ ما قال

وقال شيخ الإسلام العيني الحنفي فيما كتب على الكتاب المذكور: وما هم أي المنكرون على ابن تيمية رحمه الله تعالى إلا صلّعه بلقع سلقع ، والمكفر منهم صلّعه بن قلمعة وهيان بن بيان وهي بن بّيّ وضل ابن ضل وضلال ابن التلال . ومن الشائع المستفيض أن الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية من شتم عرابين الأفاضل ، ومن جمّ براهين الأمثال ، (قال) وهو الذاب عن الدين ، طعن الزنادقة والملحدين ، والناقد للمرويات عن النبي سيد المرسلين ، وللمأثورات عن الصحابة والتابعين ، فمن قال أنه كافر فهو كافر حقيق ، ومن نُسب إلى الزندقة فهو زنديق ، وكيف ذلك وقد سارت تصانيفه إلى الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على الزينغ والشقاق ، ولكن بحثه فيما صدر عنه في مسألي الزيارة والطلاق ، عن اجتهاد سائح بالاتفاق ، والمجتهد في الحالين مأجور ومثاب ، وليس فيه شيء مما يذم أو يعاب ، (قال) ولا ريب أنه كان شيخاً لجماعة من علماء الإسلام ، ولتلامذة من فقهاء الأنام ، فإذا كان كذلك كيف لا يطلق عليه شيخ الإسلام ، لأن من كان شيخاً للمسلمين يكون شيخاً للإسلام .

وقال شيخ الإسلام البساطي المالكي . وأما قول من قال أنه يعني ابن تيمية كافر وأن من قال في حقه أنه شيخ الإسلام كافر فهذه مقالة تقشعر لسماعها الجلود ، وتذوب لسماعها القلوب ، ويضحك إبليس اللعين بها ويشمت ، وتشرح بها أفئدة الخالفين وتسمت ، ثم يقال كيف لو فرضنا أنك اطلعت على ما يقتضي هذا في حقه فما مستندك في الكلام الثاني وكيف نصح لك هذه الكلمة المتناولة لمن سبقك ولمن

هو آت بعدك إلى يوم القيامة ؟ وهل يمكنك ان تدعي ان الكل اطلعوا على ما اطلعت انت عليه ؟ وهل هذا الا استخفاف بالحكام ، وعدم مبالاة بني الايام ، والواجب ان يطلب هذا القائل ويقال له لم قلت وما وجه ذلك ؟ فان أتى بوجه لا يخرج به شرعا عن العهدة بأن كان واحيا برح به تبريحا يردع أمثاله عن الاقدام على اعراض المسلمين . اهـ

(قلت) فتأمل رعاك الله كلام هؤلاء الاعلام ، في مدح هذا الامام ، فكيف ينسب إلى بدعة التجسيم أو يعاب بشيء غير ذلك أو يلام ! »

(المنار) هذا ما أورده الشيخ صفى الدين الحنفى البخاري في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية في أول كتابه (القول الجلي في ترجمة تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) ويليه فصل في عقيدته التي هي عقيدة سلف الأمة أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم . واما السيد نعمان خير الدين الآكوسي فقد جاء في كتابه (جلاء العينين . في محاكمة الأحمدين) بترجمة أوسع وأكثر نقلا عن كبار العلماء والم حفاظ في الشأن عليه والاعتراف له بمشيخة الاسلام .

قال بعد ترجمة بليغة ملخصة من كلام طائفة من الحفاظ والمؤرخين مانصه :
« قال الذهبي وما ابعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمس مئة مجلد . وترجمه في معجم شيوخه بترجمة طويلة منها قوله : شيخنا وشيخ الاسلام وفريد العصر علما ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويرا إلى هيا وكما ونصحا للأمة وامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر . سمع الحديث واكثر بنفسه من طلبه وكتابته وخرج ونظر في الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصل غيره وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع ميسر ، وخاطر وقاد الى مواضع الاشكال ميسر ، واستنبط منها اشياء لم يسبق اليها وبرع في الحديث وحفظه قتل من يحفظ ما يحفظه من الحديث مع شدة استحضاره له وقت الدليل ، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وقناوى الصحابة والتابعين ، واثق العربية اصولا وفروعا ، ونظر في العقليات وعرف افعال المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطئهم وحذر منهم ، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين ، وأوذي في ذات الله من المخالفين ، واخيف في نصر السنة المحفوظة حتى أعلى الله

(المناج ١ م ١٢) ابن تيمية . محاربة البدع . سبب حبسه . اجتهاده ٤٩

تعالى مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له ، وكبت أعداءه ، وهدى به رجالا كثيرة من أهل الملل والنحل ، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالبا وعلى طاعته ، واحيا به الشام ، بل الاسلام ، بعد أن كاد ينلخص في كائنة التار وهو أكبر من أن يذبح على سيرته مثلي ، فلو حلفت بين الركن والمقام أنني ما رأيت بعيني مثله وأنه ما رأى مثل نفسه لما حشت اه

وقال الحافظ ابن كثير : وفي رجب سنة سبع مئة واربعم راح الشيخ تقي الدين بن تيمية الى مسجد التاريخ وأمر أصحابه وتلامذته بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار وينذر لها قطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها فأراح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيما . وبهذا وأمثاله ابرزوا له العداوة وكذلك بكلامه في ابن عربي واتباعه . فحسد وعودي ومع هذا لا تأخذه في الله لومة لأثم ولم يبال بمن عاداه ولم يصلوا اليه بمكروه واكثر ما نالوا منه الحبس مع انه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما اخذوه وحبسوه بالجاء . اه

قل من جملة اسباب حبسه خوفهم انه ربما يدعي ويطلب الامارة فلقى عليه أعداؤه طريقا من ذلك ، فحسنوا للأمراء حبسه لسد تلك المسالك . وكتب الشيخ كمال الدين الزملي : كان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جالسوه استفادوا في مذاههم منه اشياء ولا يعرف انه ناظر احدا فاقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان ممن علم الشرع او غيره الا فاق فيه أهله واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها (قلت) ورأيت في نثر الدر الذائب ، في الافراد والفرائب من كتاب الاشباه

والنظائر النحوية للامام السيوطي عليه الرحمة ما نصه : جواب سؤال سائل عن «لو» لسيدنا وشيخنا الامام العالم الاوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة امام الأئمة علامة العلماء وارث الانبياء آخر المجتهدين اوحد علماء الدين بركة الاسلام حجة الاعلام برهان المتكلمين قانع المبتدعين ذي العلوم الرفيعة والفنون البديعة محيي السنة ومن عظمت به لله علينا المنة ودامت به على أعدائه الحجة واستبانته ببركته وهديه الحجة تقي الدين ابني العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن

(المناج ١) (٧) (المجلد الثاني عشر)

٥٥ ابن تيمية . ثناء الحفاظ والأئمة عليه (المراجع ١٢م)

عبدالله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني اعلى الله تعالى مناره وشيد من الدين اركانه

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيتنا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنواره اربت على الفجر

نقلت هذه الترجمة من خط العلامة فريد دهره ووحيد عصره الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني : بسم الله الرحمن الرحيم ، نقلت من خط الحفاظ علم الدين البرازلي قال سيدنا وشيخنا الامام العالم العلامة القدوة الحفاظ الزاهد العابد الورع امام الأئمة خير الأئمة مفتي الفرق علامة الهدى ترجمان القرآن حسنة الزمان عمدة الحفاظ فارس المعاني والالفاظ ركن الشريعة ذو الفنون البديعة ناصر السنة قاصع البدعة تقي الدين ابو العباس احمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ادام الله تعالى بركته ورفع درجته : الحمد لله الذي علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ، واشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له الباهر البرهان ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الانس والجان ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما يرضى به الرحمن ، سألت وفقك الله تعالى عن معنى حرف « لو » وكيف يتخرج قول عمر رضي الله عنه « نعم العبد صهيبي لو لم يخف الله لم يعصه » على معناها المعروف وذكر ان الناس يضطربون في ذلك واقتضيت الجواب اقتضاء أوجب أن اكتب في ذلك ما حضرني الساعة مع بعد عهدي بما بانغي مما قاله الناس في ذلك وانه لا يحضرني الساعة ما اراجعه في ذلك فأقول . اه بحر وفه . ثم ساق الامام السيوطي آخر الجواب الى نهايته ، وافر المترجم على ترجمته ، فن ردتته فارجم الى الاشباه والنظائر ، فان فيه جلاء الابصار والبصائر ، (*)

وكتب الحفاظ ابن سيد الناس : ألفيته ممن ادرك العلوم حظا ، وكاد يستوعب (*) وفي هامش الكتاب عند هذه العلامة مانصه : وكذا المدقق ابن هشام في شرح الشذور نقل منه بعض الاقوال النحوية معبرا عنه بالامام العلامة وكذا غيرها ممن سلمت له الامامة

(المناج ١٢م) ابن تيمية . ترجمة ابن الوردي له . وصفه للواسطي ٥١

السنن والآثار حفظا ، ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، وان اقي في الفقه فهو مدرك غايته ، او بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، او حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته ولا أرفع من درايته ، برز في كل علم على أبناء جنسه ، ولا رأيت عيني مثل نفسه ،

وقال ابن الوردي في تاريخه وقد عاصره ورآه : وكانت له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث مع حفظه لمتونه الذي انفرد به وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه وإليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله تعالى . غير انه يغترف فيه من بحر وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي . وأما التفسير فسلم اليه . وكان يكتب في اليوم واليلة من التفسير اه من الفقه او من الاصلين او من الرد على الفلاسفة نحو من اربعة كراريس . وله التأليف العظيمة في كثير من العلوم وما يعد ان تصانيفه تبلغ خمس مئة مجلد . وله الباع الطويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قل ان يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الاربعة . وقد خالف الاربعة في مسائل معروفة وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة . وبقي سنين يقني بما قام (عليه) الدليل عنده . ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية وكان دائم الاتيهال كثير الاستعانة قوي التوكل ثابت الجأش ، له ايراد واذكار يديمها لا يدهن ولا يحايي ، محبوبا عند العلماء والصلحاء والامراء والتجار والخبراء . وصار بينه وبين معاصرة وقعات مصرية وشامية لبعض مسائل اقي فيها بما قامت عنده الادلة الشرعية : واجتمع بالسلطان محمود غازان السفاك المقتل وتكلم معه بكلام خشن ولم يهبه ، وطلب منه الدعاء فرفع يديه ، ودعاءه منصف اكثره عليه ، وغازان يؤمن على دعائه اه ملخصا واطال في ترجمته

وقال العلامة الشيخ عماد الدين الواسطي في حقه بعد ثناء طويل جميل ما لفظه : « فوالله ثم والله لم يرتح اديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علما وعملا وحالا وخلقا واتباعا وكرما وحملا وقياما في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته . اصدق الناس عقدا واصحهم علما وعزما وانفذهم واعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة ، واستخام كفا

٥٢ ابن تيمية . ثناء الحفاظ والأئمة عليه (المارح ١٢م)

وأكلهم اتباعا لنبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله الا هذا الرجل ، يشهد القلب الصحيح ان هذا هو الاتباع حقيقة . اهـ

وقل في الشذرات عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وقد سئل عن الشيخ ابن تيمية بعد اجتماعه به كيف رأيته ؟ قال « رأيت رجلا سائر العلوم بين عينيه يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء » فقيل له فلم لا تتناظران ؟ قال « لانه يحب الكلام وأحب السكوت »

وقال ابن مفلح في طبقاته : كتب العلامة تقي الدين السبكي الى الحافظ الذهبي في امر الشيخ تقي الدين بن تيمية ما نصه : « فالمملوك يتحقق قدره وزخارة بحره وتوسعته في العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وأنه بلغ في ذلك كل المبالغ الذي يتجاوز الوصف . والمملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسي اكبر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله تعالى له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالماخذ الا وفي غرابة مثله في هذا الزمان بل في أزمان » اهـ

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمته المطبوعة : ان الفتنة لما ثارت على الشيخ ابن تيمية من جهة بعض كلماته تعصب له القاضي الحنفي ونصره وسكت القاضي الشافعي ولم يكن له ولا عليه . وكان من اعظم القائمين عليه الشيخ نصر بن المنبجي لانه كان بلغ ابن تيمية انه يتعصب لابن عربي فكتب يعاتبه على ذلك فما أعجبه لكونه بالغ في الخط على ابن عربي وتكفيره فصار هو يحيط على ابن تيمية ويغري (به) ببيرس الجاشنكير وكان ببيرس يفرط في محبته ويعظمه . واتفق ان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين بن الحريري اتصرو للشيخ ابن تيمية وكتب في حقه محضرا باثناء عليه بالعلم والفهم وكتب به في خطه ثلاثة عشر سطرا من جملتها « إياه منذ ثلاث مئة ما رأى الناس مثله » اهـ

وتقول الامام العسقلاني ايضا عن الحافظ الذهبي انه قال حضر عند شيخنا ابو

(المنارج ١ م ١٢) ابن تيمية . مناظرته لأبي حيان . صفاته . وفاته ٥٣

حيان المفسر فقال ما رأيت عيناى مثل هذا الرجل ثم مدحه بأبيات ذكر انه نظمها بديهة وانشدته إياها وهي :

لما أتنانا بقي الدين لاح لنا داع الى الله فرد ماله وزر
على عيائه من سيما الألى صحبوا خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبرا بحر تقاذف من امواجه الدور
قام ابن تيمية في نصر شرعنا مقام سيد تيم اذ مضت مضر
وأظهر الحق اذا آثاره اندرست واخذ الشر إذ طارت له شرر
يامن يحدث عن علم الكتاب أصح هذا الامام الذي قد كان ينتظر

يشير بهذا الى انه المجدد . وقد صرح بذلك ايضا العماد الواسطي . ثم دار بينهما كلام فخرى ذكر سيديوه فأعاط. الشيخ ابن تيمية القول في سيديوه فناظره ابو حيان بسببه ثم عاد ذاماً له وصير ذلك ذنباً لا يغفر (ويقال) إن ابن تيمية قال له : ما كان سيديوه نبي النحو ولا معصوما بل اخطأ في الكتاب في ثمانين موضعا ما تفهمها انت . فكان ذلك سبب مقاطعته إياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذا في مختصره الهر اه

وقد ترجمته علماء المذاهب المعاصرون له وغيرهم بتراجم مفصلة واثنوا عليه بالثناء الحسن وذكروا له كرامات عديدة ومواظبة على الطاعات والعبادات وتجنباً عن البدع وشدة اتباع للسنن وطريق السلف الصالح وانه لم يتزوج حتي مات وكان ابيض اللون اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره إلى شحمة اذنيه عيناه لسانان ناطقان ، ربة من الرجال بعيد ما بين المنكين جهوري الصوت . وقد ذكر نبذة من اختياراته العلامة ابن رجب المتوفى سنة سبع مئة وخمس وتسعين في طبقاته ، وفصل ايضا سيرته واحواله والثناء عليه

وقد توفي سنة سبع مئة وثمان وعشرين سحر ليلة الاثنين عاشر ذي القعدة الحرام في السجن ! فأخرج الى جامع دمشق فصلوا عليه فكان يوما مشهودا لم يعهد بدمشق مثله ، وبكى الناس بكاء شديدا وتبركوا بماء غسله واشتد الزحام على نعشه ودفن بمقابر الصوفية بعد ان صلوا عليه مرارا . وحزر من حضر جنازته بمئتي الف

ومن النساء بخمسة عشر ألفا وختمت له ختمات كثيرة ورثي بقصائد بليغة
(المنار) بعد ان اورد المؤلف هنا مراثية الشيخ عمر ابن الوردى احدى تلك
المراثي التي يشنع فيها على من آذوه وحبسوه قال :

(قلت) وما زال الناس ولا سيما الكبراء والعلماء يُبْتَلَوْنَ في الله تعالى ويصبرون
وقد كانت الانبياء عليهم السلام يقتلون وأهل الخير في الامم السابقة يقتلون ويحرقون
وينشر احدهم بالمنشار وهو ثابت على دينه ولولا كراهة التطويل لذكرت من ذلك
ما يطول : وقد سمّ ابو بكر وقتل عمر وعثمان وعلي وسمّ الحسن وقتل الحسين وابن
الزبير وصلب حبيب ابن عدي . وقتل الحجاج عبد الرحمن بن ابي ليلى وسعيد بن
جبير وغيرهما . وقتل زيد بن علي . واما من ضرب من كبار العلماء فكثيرون منهم عبد
الرحمن بن ابي ليلى ضربه الحجاج اربع مئة سوط ثم قتله ، وسعيد بن المسيب ضربه
عبد الملك بن مروان مئة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شاتٍ وألبس جبة
صوف ، وحبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد مئة
سوط وذلك انه حدث عن النبي صل الله عليه وسلم انه قال « اذا بلغ بنو ابي العاص
ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا » فكان عمر اذا قيل « أبشر »
قال « كيف بخبيب على الطريق » وابو عمرو ابن العلاء ضربه بنو أمية خمس مئة
سوط ، والامام موسى الكاظم سجنه هارون حتى مات ، والامام ابو حنيفة توفي في
السجن بعد أن ضرب وقيل او جر سماً ، والامام مالك بن أنس ضربه المنصور
ايضا سبعين سوطا في يمين المكره وكان مالك يقول لا يلزمه اليمين . والامام احمد
امتنح وسجن وضرب في أيام بني العباس ، والشيخ ابن تيمية في هؤلاء الائمة
أسوة . ولو اردنا استقصاء ما ذكره معاصروه من الثناء عليه وبيان سيرته ومفصل
أحواله لافضى بنا إلى الطول ، والقلم - لاملت - ملول ، ويكفي من القلادة ما
احاط بالجيد .

(المنار) وعقد بعد هذا فصلا في تبرئة الشيخ مما نسب اليه، وثناء المحققين
المتأخرين عليه . فقتل عن صوفي الفقهاء وفقه الصوفية الشيخ ابراهيم الكوراني المدني
الشافعي وعن علامة العراق الشيخ علي السويدي البغدادي الشافعي ، وعن والده

السيد محمد الآلوسي المقي ، وعن عالم بلد الله الحرام الملا علي الهروي ، وعن أمير العلماء وعالم الأمراء أبي الطيب حسن صديق خان الحسيني البخاري . ثم عقد فصولاً أخرى ذكر فيها كل ما قاله العلامة ابن حجر الهيتمي وبين الحق فيه فليراجعه من شاء . فمن أشنبه في مسألة معينة من المسائل التي انتقدت على ابن تيمية ولم يتمكن من مراجعتها في كتاب جلاء العينين أو راجعها وبقي في نفسه شبهة منها فله ان يسألنا عنها إن أحب . وانا كنا نعتقد ان ابن تيمية وصل الى درجة الاجتهاد المطلق قبل ان نطلع على قول العلماء في ذلك بل نعتقد انه لا نظير له في علماء الاسلام قط الا تلميذه ووارث علومه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى ونفع المسلمين بعلومهما

الحجاز بعد الدستور (*)

بعث الدستور بعد ان قبر ، وبذلك كذب الله اعداء الاسلام الزاعمين ان الشورى غير ملائمة لروح الاسلام ، فهل سبق ان رأوا أمة قد أكل عليها الاستبداد وشرب زمنا طويلا ، فساهي الا عشية أوضاعها حتى استحات الصبأ فاصبح افرادها بحمد الله اخوانا ، لا فضل لاحمر على اسود إلا بتقوى الله ، قد ألف الله بين قلوبهم ، لو انفتحت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم كذب الله بقيام الدستور زعم اولئك كما ايد به قول القائلين بسداد نيه مولانا السلطان وفائق حكمته ووافر عقله وقوة ادراكه زاده الله توفيقا اذ لم يكن من احد من قادة الامم ما كان منه فله الشكر والدعاء اذ صان كيان الامه ودماءها وأموالها وشرفها فالملكة مدينة له بما فعل وقد شرق الاعداء بما رأوا من اتحاد عناصر المملكة ، ولم يرق في اعينهم قياموا بما قاموا به ، اذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وابدت طلبها النافقاء ، وما تخفي صدورهم اكبر . قل موتوا بغيظكم .

(*) لأحد فضلاء المسلمين في ستغافوره (س . س . ي)

ولكن قل لي اين هم اصدقاء الاسلام ؟ اين ما قاموا به ؟ اين مواساتهم في هذه الازمة ؟ اين من مد لنا يده في طور انتقالنا الخفيف ؟ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؟

شاهت الوجوه ، وقبح اللعك ومن يرجوه ، نعم قد سمعنا عن الانكليز جمعجة ولم نرطحن ، فشكرا لهم على ذلك ان لم يك استدرجا ومكرا ،

ولقد كانت نعمة الدستور عامة على كل الممالك العثمانية ، وكان حظ الحجاز منها غير قليل ، لولم يكن غير تطهيره من ذلك الطاغية وبالسته فكيف وغير ذلك كثير ؟ ولكن الحجاز لكونه اول ولاية عثمانية ، وهو قبلة المسلمين كلهم ومحل نسكهم ، ولطول عهده بالخراب والدمار والاستبداد يحتاج الى أكثر مما صار ، وهو أحق بلاد الله بالاصلاح والمصلحين ، واصلاحه يفيد الدولة فائدة عظيمة وهو اوجب عليها من اصلاح غيره بحكم الشرع والعقل . ولست احتاج الى إقامة الدليل الشرعي لبدايته ولكنني اشير الى العقلي السياسي : وذلك ان الحجاز هو المكان الذي تحشر فيه وفود المسلمين وجلهم في هذه العصور محكوم بالاجانب ، وقل من يقصد منهم من بلاد المسلمين غير الحجاز ، فاذا لقوا فيه اصناف الشقاء وانواع التعاسة مع ما يعلمون له من المكانة الدينية والسياسية وكونه الانموذج المعروض لو فود كل الامم ، وكون السلطان حفظه الله ينعت كل جمعة على كل منبر في الدنيا افتخارا بخادم الحرمين الشريفين وحاميهما ، فاذا كانت حاله كما هي الآن فكيف يكون الحكم على باقي المملكة وعلى ساسنها ؟

لو قلت لا يجد اعداء الدولة معولا يهدمون به نفوذها في المسلمين ، وصابونا يفسلون به حبهام قلوب الامة ، وحجة يقيمونها للأمم على ان الترك اعداء الانسانية والاسلام والعرب خصوصا - اكبر وأوضح من الحال التي كان بها الحجاز ونرجو ان لا يعود الى ما يقاربها - لو قلت هذا لم يفند قولي عاقل عالم منصف

إن الاصلاحات التي يجب إجراؤها في الحجاز كثيرة جدا ولندع ما كان منها فنيا او قانونيا لمن هو أقرب عهدا منابها واوسع اطلاعا منا ، ولكننا نلتمس إلى شيء قليل مما لا يجوز السكوت عنه :

إن الحرم الشريف وهو المسجد الوحيد المشترك بين أكثر من ثلاث مئة وأربعين مليوناً من البشر على حال يتألف منها العقلاء، قد أحاطت به بيوت يسمونها المدارس يسكنها الوف من الناس وكلها فيها كنف (مراحيض) ذات بلايم في الأرض تحتزن بها الاقذار، فإذا سالت السيول امتلأ الحرم بتلك النجاسات وبقي عفناً عدة أسابيع وقد تكرر وقوع ذلك. وإذا نزلت الأمطار تشربتها الأرض فيتصاعد حينئذ منها بخار متدن من كل أرض المسجد، فلا يقدر أحد أن يضع جبهته للسجود إلا كما يقف فيه كأنه واضع انفه على ثقب كنيف مسدود، ولو كان نحن سجدته شبرا، هذا امر عرفته بنفسى ويعرفه كل من أقام هناك، مع أن تلك المدارس (البيوت) واجب إزالتها إذ هي قائمة على أرض لا يجوز تملكها البتة ولكن أقامها الجور ودعمها الرشوة، ثم إن المياه التي تشربها الأرض تنحدر إلى المنخفضات، ولا ريب بأنه يصيب بئر زمزم حظ من تلك النجاسات السائلة، فلذلك صار ماؤها كبر الديدان والجراثيم الضارة، فإذا كنا لا نقوم بتطهير ما يقارب تلك البئر المقدسة ولا نبعد عنها السوائل النجسة القذرة السامة ولا نعيد الحرم كما كان في العصور الصالحة كامل النظافة إذ كانت مواضع الاقذار بعيدة عنه وعلى ظهر الأرض - فأي حجة لنا على الأجانب إذا حكموا باراقة ما تزوده الحجاج من ذلك الماء المبارك كما تراق المستقذرات، ومنعوا إدخاله إلى بلادهم حرصاً على حفظ الصحة!!!

إننا لو قمنا بالنظافة المطلوبة التي هي من الإيمان، وطهرنا ما جاور البيت من الأنجاس والأدران، لكان لنا من ماء زمزم المبارك مورد عظيم، ولوجدنا مئات الشهادات من نطس الأطباء فيما له من الخواص العجيبة الحسية فضلاً عن الخواص المعنوية، وإذا ذاك يمكننا أن نبني منه في أقطار العالم ملايين من القوارير فمتى نرى تلك الأراضي المقتصة من المسجد الحرام ومن حواشى المسعى قد أعيدت؟ ولو أرادت الحكومة أن تبذل لأصحابها الظالمين بدل تلك البنايات الغير محترمة فإنها تجد من كرام المسلمين تلبية تسرها ببذل الأموال حباً في تطهير الحرم الطاهر من آثار الاستبداد والجور

ثم انه لا بد من انارة الحرم الشريف بالنور الكهر بآني لوفور ضوئه وحسنه وبهائه، وبذلك يتوفرأ كثر من نصف ما يصرف الآن عبثا للأسراج بتلك القناديل الوسخة التي لا يتجاوز نورها زجاجها ١ ويستغنى عن جيوش السراجين ٠ ويمكنهم استخدام تلك الآلات نهارا في جاب الماء من زمزم وأجرائه في مواسير الى خارج المسجد فيسلم من بلل قرب السقائين المحرقة ونحو ذلك

ولا غناء عن هدم مقامات الأئمة لأنها مبتدعة فيكتفى بامام واحد يرضي فضله وعلمه ودينه، ولينزه اليه وصحنه من خدمة الاغوات الذين هم تركة العصور المظلمة الظلمة وخدمة الجبابرة من الملوك الذين لجهلهم بالدين أحبوا ان يجعلوا خدمة الكعبة وحجرة النبي (ص) من جنس ما يستخدمون في بيوتهم ١ وهيئات هيئات، ويمكن ان يوظف بدلهم نحو ثلث عدد هم من الأختيار الاتقياء الحسني السيرة المعروفين لدى المدول، ولا شك بأنه يكفي لمن ذكرنا قليل مما يذهب ضياعا مع أولئك الاغوات .

انني كنت في بعض جهات أوربا فزعم بعضهم ان الخصاء مما يأمر به الاسلام، وانه من الحتم عند المسلمين ان لا يخدم السلطان ولا يعمل في الكعبة ولا يتولى سداة الحجرة المنيفة الا الخصيان ١ وقد أفدت محدي بتحرير الشريعة المحمدية للخصاء وبرائتها من تلك البربرية فلم يقتنع، ولم تكن له حجة الا هذه النقطة المحزنة المسيئة سمعة الاسلام، ولعمر الحق ان التغالي في اثنائهم لما يغري النخاسين الطماعين فالواجب حسم الداء من أصله

وأرى ان يمنع من رمي الحبوب للحمام حتى تضطر إلى مفارقة الحرم بحدوده وهناك قنص، فلقد جلبت كثرتها أذية المسلمين وتنجيسا وتوسيخا للمسجد، ونشأ عن ذرقها الكثير أمراض ضارة، ولكثرة الحمام يسهل اقتناصه على الهرة فتأكل بعضه وتدع البعض يتعفن فتنبعث منه أمراض كثيرة الى نحو ذلك

ومن الواجب طرد الكلاب من الحرم كله ثم تسميها بعد ذلك، فلقد صح أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتلها إلا ما استثنى، والموجود بمكة جله من المرضى

المجرحة فيقع عليها الذباب الكثير ينقل عنها مواد التلقيح لجملة امراض الى بني
الانسان صغارا وكبارا

ويمكن ان يصرف لطلبة العلم الشريف جميع ما يصرف الآن على الحمام
والكلاب فان ذلك خير وأبقى

ونحن نرغب إلى مشايخنا الأجلاء ان لا يجعلونا مضغة في الافواه وهزوا
لدى العقلاء، وان لا يلصقوا بديننا النقي ما برأه الله منه من النقائص والفساسف
وعلى الله الاعتماد وحده

هذه أمور نلفت اليها اظار رجال الدولة واعضاء مجلسي الأمة والشورى ومولانا
الشريف الحسين وصاحب الدولة والي الحجاز كاظم باشا ليعملوا ما يرونه أقرب للتقوى

أشواقنا إلى المدينة

العام الهجري الجديد (*)

﴿ سنة ١٣٢٧ ﴾

اطلّ على الأكوان والخلق تنظر	هلال رآه المسلمون فكبروا
تجلى لهم في صورة زاد حسنها	على الدهر حسنا انها تكرر
فبشرهم من وجهه وجينه	وغرته والناظرين مبشر
واذ كرم يوما اغرّ محجلا	به توج التاريخ والسعد مسفر
وهاجر فيه خبر داع الى الهدى	يحف به من قوة الله عسكر
يماشيه جبريل وتسعي وراءه	ملائكة توعى خطاه وتخفر

(*) احتفل المصريون بدخول العام الهجري الجديد، وقررت الحكومة جعل أول
يوم منه عيداً رسمياً تقفل فيه دواوينها وتعطل اعمالها، ولقد نظم الشعراء القصائد في
ذلك، فأثرنا ان ثبت منها هذه القصيدة

يسراهم برهان من الله ساطع هدى ويمناه الكتاب المظهر
فكان على ابواب مكة ركه وفي يثرب انواره تتفجر

مضى العام ميمون الشهور مباركا تعدد آثار له وتسطر
مضى غير مذموم فان يذكروا له هنات قطع الدهر يصفو ويكدر
وان قيل اودى بالالوف اجابهم مجيب لقد احيا الملايين فانظروا
اذا قيس احسان امرىء باساءة فارى عليها فالاساءة تغفر
ففيه افاق النائمون وقد اتت عليهم كاهل الكهف في النوم اعصر
وفي عالم الاسلام في كل بقعة له أثر باق وذكر معطر
سلوا الترك عما ادركوا فيه من منى وما بدلوا في المنسرفين وغيروا
وان لم يقيم الا (نيازي) و(أنور) فقد ملأ الدنيا نيازي وانور
تواصلوا بصبر ثم سلوا من الحجى سيوفا وجدوا جدتهم وتدبروا
فسادوا وشادوا لللال منازل على هامها سعد الكواكب ينثر
تجلى بها عبد الحميد بوجهه على شعبه والشاه خزبان ينظر
سلام على عبد الحميد وجيشه وامته ما قام في الشرق منبر

سلوا الفرس عن ذكرى اياديه عندهم فقد كان فيه الفرس عيا فابصروا
جلا لهم وجه الحياة فشاقهم فباتوا على اربابها وتجمهروا
ينادون: ان مني علينا بنظرة واحي قلوبا اوشكت تتفطر
كلانا مشوق والسبيل مهم الى الوصل نولذلك المتعشر
اطلي علينا لا تخافي فانا بسرك اوفى منه حولا واقدر
سلام عليكم امة الفرس انكم خليقون ان تحيوا كراما وتفخروا
ولا اقرئ الشاه السلام فانه يريق دماء المصلحين ويهدر

وفيه هوى عبدالعزيز وعرشه واخني عليه الدهر والامر مدبر

ولا عجب إن ثل عرش ملك قوائمه عود ودف ومزهر!!
فأتى إلى عبد الحفيظ بتاجه ومرّ على درّاجة يتعشرا
وقام بأمر المسلمين موفق على عهد مرّاكش تتحضر

وفي دولة الافغان كانت شهوره واياه بالسعد واليمن تزهرو
أقام بها والعود ريان أخضر وفارقها والعود فيات مشر
وعودها بالله من شر طامع إذا رمى (أدورد) أورايش قيصر

وفيه تمت في الهند للعلم نهضة أرى تحتها سرا خفا سيظهرو
فتجري الى العليا والمجد شوطها ويخصب فيها كل جذب وينضرو
وفيه بدت في أفق «جاوة» لمعة أضاءت لأهلها السبيل فبكرو
وياليتها أولى الجزائر منة تفك بها تلك القيود وتكسر
وفي تونس الخضراء ياليتها بنى له أثرا في لوحة الدهر يذكر

وفيه سرت في مصر روح جديدة ومباركة من غيرة تسهر
خبث زمتا حتى توهمت انها تجافت عن الإبراء لولا كرومر
تصدى فأورها وهيئات ان يرى سبيلا الى اخادها وهي تزفر
مضى زمن التوهم يا نيل وانقضى ففي مصر أيقاظ على مصر تسهر
وقد كان «مورفين» الدهاء مخدرا فأصبح في اعصابنا يتخدر
شعرنا بحاجات الحياة فان ونت عزثنا عن نيلها وكيف نهدر
شعرنا وأحسنا ربات نفوسنا من العيش إلا في ذرى العز تسهر
إذا الله الحياة التي يردّها الى الموت قهار ولا متجبر
رجال القند المأمول أنا بحاجة الى قادة تبني وشعب يمر
رجال القند المأمول أنا بحاجة الى مصلح يدعو وداع يذكر
رجال القند المأمول أنا بحاجة الى حكمة تملّي وكف تهر

رجال الفد المأمول انا بحاجة
رجال الفد المأمول انا بحاجة
رجال الفد المأمول لا تتركوا غذا
رجال الفد المأمول ان بلادكم
عليكم حقوق للبلاد أجلها
قصادى منى أوطانكم ان ترى لكم
فكونوا رجالا عاملين أعزة
وياطالي الدستور لا تسكنوا ولا
اعدوا له صدر المكان فاتي
ولا تنطقوا الا صواباً فاتي
فما ضاع حق لم ينم عنه أهله
لقد ظفر الانراك عدلاً بسوءهم
هم لهم العام القديم مقدر
ثقوا بالامير القائم اليوم انه
فلا زال محروس الاريكة جالساً
الى عالم يدري وعلم يقرر
اليكم فسدوا النقص فينا وشمروا
يمر مرور الأمس والعيش أغبر
تناشدكم بالله ان تذكروا
تعهد روض العلم فالروض مقفر
يدا تبني مجدا ورأسا يفكر
وصونوا حتى أوطانكم وتحروا
تيتوا على يأس ولا تضجروا
أراه على أبوابكم يتخطر
أخاف عليكم ان يقال تهودوا
وما ناله في العالمين مقصر
ونحن على الآثار لا شك نظفر
ونحن لنا العام الجديد مقدر
بكم وبما ترجون أدرى وأخبر
على عرش وادي النيل ينهي ويأمر
محمد حافظ ابراهيم



(المار ج ١ م ١٢) خطبة السلطان في ضيافته للمبعوثين ٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة السلطان (*)

﴿ في ضيافته للمبعوثين ﴾

أيها المبعوثون الافندية

إني أصبحت في الحقيقة ممنونا جدا لتناولي الطعام هذه الليلة مع سائر وكلاء أمي العثمانية ورعيتي الشاهانية فكأنتي مع جميع افراد أمي العزيزة !! زاد حضرة الحق تعالى عددها وسعادة حالها . ان هذه الليلة مباركة وسعيدة وأظن أنها اول ليلة من نوعها في تاريخ دولتنا العلية ولذلك فاني ابارك عليها وأسأل الله ان يشرفنا جميعا بدوام وقوع أمثالها . ان هذا الاجتماع المسعود هو مبدأ دليل الآثار الفياضة التي منحها القانون الاساسي لدولتنا وامتنا ووطننا والتي سيمنحها في المستقبل الى ماشاء الله تعالى . فهو اذا جدير بالتبجيل ايها المبعوثون الافندية

كونوا على علم بأن الله هو حامي حقوق السلطنة والمملكة والدولة أولا ، ثم الامة ومجلس نوابها! ذلك كانت وظيفتكم هامة ومقدسة ، وغاية مطلوبي ان يجعلوا سميتكم وغيرتكم وقصدكم ونييتكم بنسبة تلك المكانة الهامة وهذه القدسية . واني اؤكدهم بأنني نصبت نفسي بعناية الكريم للمحافظة على أحكام القانون الاساسي الضامن والمكافل

(*) ادب السلطان للمبعوثين مأدبة حضرها معظم المبعوثين ، وتخلف فريق منهم عن حضورها ، وكانت أعدت خطبة سلطانية للترحيب بالمبعوثين لازالة ذلك الأثر السيء الذي علق بأذهانهم من خطابه في افتتاح مجلسهم (راجع ص

(١١ م ٨٨٠)

٦٤ جواب رئيس مجلس المبعوثان عن خطبة السلطان (المار ج ١٢)

لهذه الحقوق المقدسة . واؤكد لكم بأنه اذا وجد من يخالفه فأني سأكون أول خصم
وأول عدو له أيا كان بصفتي خليفتم و ساطانكم
نضرم إلى الله تعالى أن يكون معيناً وظهرنا لنا في سعيينا وغيرتنا في سبيل دولتنا
وأمتنا وسلامة وطننا المقدس (١)



جواب رئيس مجلس المبعوثان

﴿ عن خطبة السلطان ﴾

إن التاريخ الذي ينقل الوقائع الماضية للخلف لم يسجل الى الآن في حياتنا
السياسية يوماً عظيماً بهذا المقدار . ان السلطان والامة اللذين كان يتحسر أحدهما
على رؤية الآخر من زمن طويل يأكلان اليوم على مائدة واحدة ويشربان من
إناء واحد . ولم يعرف مثل هذا الائتلاف والاتحاد الا في عصر السعادة (٢)
مرت ثلاثة عشر قرناً والشرق محروم من رؤية السلطان مع الامة وجوداً واحداً .
ان العرب قد أظهروا للوجود مدنية عظيمة وكذلك العثمانيون سيكونون متمدنين
قلبا وقالبا مع سلطانهم ، وبذلك يكونون موفقين لاعلاء شأن الوطن والتوفر على
حفظه وصيافته ويكسبون موقعا ممتازا في عالم المدنية . ونواب الامة يرضون لذاتكم
السلطانية تعظيمهم واحترامهم لقاء ما نالوه في هذه الليلة من جلالكم من الاعزاز والالتفات

(١) بعد ان اتم جواد بك رئيس كتاب المايين هذه الخطبة التفت السلطان
الى احمد بك رضا رئيس المبعوثين قائلا « اني لا اذكر دقيقة واحدة من عمري
كنت سعيدا فيها بهذا المقدار »

(٢) يريد بذلك عصر النبوة وزمن الخلفاء الراشدين الذي كان الخليفة فيه
لا ميزة له على أحد من أفراد الامة . ذلك العصر الذي كان يجرأ فيه رجل من
آحاد اليهود أن يمد يده الى النبي صلى الله عليه وسلم ممسكا بثوبه مخاطباياه بقوله:
انكم يا بني عبد المطلب قوم مُطَّل ! انه لعصر جدير بأن يسمى عصر السعادة

نهضة الأزهريين

عسير على المفكر أن يحيط علماً بكل ما يقع تحت نظره ، وعزيز عليه أن يجعل اسباب أمر واقع ، ولهذا كان الفكر كثير الدأب والتجوال ، لا يقر له قرار حتى يكون له إدراك صحيح لما يرى ويشاهد ، وإذا ذاك يرى أنه إذا حكم على شيء كان ذلك الحكم مدعماً بالاستقراء ، ناتجاً عن مقدمات لا تتجعب غيره .

أن فيما يتفق عليه جمهور المفكرين كثيراً مما يكون موضعاً للشبهة والأفكار فيه مسارح ومذاهب ، لطموس معاملته وخفاء كنهه ، ولذلك لم يتحقق إلا جماع على ما لا يعد من البديهيات الأفياندر وقل ، وأن مما اتفق عليه العلماء استحالة وقوف عمل ما عند حد محدود ، لا يتنزل إلى هبوط ولا يتوغل إلى صعود ،

لا يبعد أن يذهب قصار النظر إلى إمكان ذلك ، واتي لا أوجه كلاماً إلى هؤلاء ، بل مخاطب به أرباب العقل ، وأريد بهم أولئك الذين لا يهلون أمر الفكر ، بل يستعملونه فيما خلق له ، ولكل وجهة ومنحى

تأمل في أي عمل من الأعمال تأمل نافذ البصر ثاقب البصيرة ، ثم ارجع إلى نفسك ، وأناضين بأنك تحكم إما بترقيه وإما بتدليه ولا وسط بينهما

كل هذا مما أثبتته المشاهدات ، واستفاضت بتفصيله النظريات ، حتى بات من المقررات ، التي راع فيها بين من يعقل ويفكر ، ولذلك كان في حال الأزهر وبقائه في نقطة محدودة لا يتجاوزها قيد شبر لمن ينظر إليه بادي الرأي حيرة للعقول ومضلة للأفهام ،

أفرغ ذلك العاقل الحكيم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده جهده في سبيل إصلاح الأزهر وقضى دأباً على ذلك سنين لو أمضاها في التأليف والكتابة للأخراين حكمة وعرفانا صاحبالأزهرين صيحة صلت منها آذان وفتحت بصائر ، فأصاخ قوم لقوله ، وثار آخرون يبرزونه باللقب ، ويعرقلون مساعيه المظمية ، فريق منهم عانده عن غي وجهل ، وآخرون كانوا يؤمنون ويوعدون ، وكثيرون منهم حملوا على ذلك وهم

(المجلد الثاني عشر)

(٩)

(المنار ج ١)

كارهون!! ولكن الامام كان في أول الامر موهبدا من الامير فلم تؤثر في عمله صيحاتهم ، ولم تصدف به عن سعيه سعائاتهم ، فأسس للأزهر مجلس ادارة على نمط ديمقراطي لا يدع لكبير نفوذ فيه ، ولا لامير سلطة عليه ، ونفخ روح الاستقلال في رجاله ، بما كان يريهم من جلائل اعماله ، وجلس من الطلاب مجلس مفيض الحكمة على القول ، ومربي الاخلاق والنفوس

لم تكن العقبات والعوائير الأولى صادرة له عما اتدب له وصمم عليه ، بل كان لا يأبه لها - وذلك شأن أرباب النفوس الكبيرة - الى ان ظهرت له بشكل جديد ، يمدّها نفوذ قوي ، ويؤيدها مقام علي ، فتكر لها كما تنكرت له ، وواثبها حينما كما واثبته ، حتى كانت تلك الوقفة المشهورة للامير ، وفيها نطق بما كان اكنّته ، وظهر ما اخفاه واجنّته ، قال :

« ولقد كنت اود ان يكون هذا شأن الأزهر والأزهريين دائما ولكن من الاسف رأيت انه وجد فيه من يخلطون الشغب بالعلم ومسائل الشخصيات بالدين ويذكرون لذلك من اسباب القلاقل حتى انه لما بدا شي من بعض المغاربة المجاورين فيه عند اسكانهم في المحال التي خصصت لهم في الروقة التي عمرت حديثا على نفقة ديوان الاوقاف كان من اهل الأزهر نفسه من يهددهم بالعساكر ويتوعددهم بالنفي ويستفز نفوسهم بمثل ذلك للقليل والقال والاضطراب والهياج ، الى ان قال :

« وأول شيء اطلبه انا وحكومتي ان يكون الهدوء سائدا في الأزهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشتغل علماءه وطلبته الا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيف العقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء »

نطق الامير بخطبته تلك ففهم الامام من بواطنها أكثر مما فهم الناس من ظواهرها ، فاستيقن أن العراقيل التي تقف في سبيله إن لم تقدر على زحزحته عن مكانه ، فانها كفيلة بتعطيل عمله واصلاحه ، فخرج من حضرة الأمير والأسف شتم على نفسه ، ورأى ان الخروج من مكان أراد ان يجعله كعبة للاصلاح ، فحبل يده ويدين ما يريد - أصبح واجبا محتما ، فاستقال من ادارة الأزهر هو وصديقه العامل الشيخ عبد الكريم سلمان ، ولقد كان تركها الأزهر اضطراب وحزن

شاركت مصرفيه سائر انحاء العالم الاسلامي ، لان الرجاء بالاصلاح الاسلامي كانت مقوداً بهذين الرجلين الزعيمين به . ثم مضى الامام إلى ربه ولسانه يتلجلج بقوله : ولكنه دين أردت صلاحه . أحاذر أن تقضي عليه المهائم

استحوذ اليأس على النفوس من إصلاح الأزهر بعد ذلك ، وحكم الناس بأنه سيصير طلالدارسا ، لان طريقين يسير الناس فيهما في هذه الدنيا : فإما فناء وإما ارتقاء ، ولا ثالث لهما ، ولا وسط بينهما كما مرّ من قبل ، واجمع الكثيرون على ان الأزهر سائر في الطريق الأولى ، وصادف عن الأخرى ، وكان أناس في حيرة من أمر الأزهر ، ظانين انه واقف ساكن لا يسير الى تدل ولا إلى رقي !! وهذا هو الحال بعينه . وقد كان الاستاذ الامام يقول : يستحيل ان يبقى الأزهر في هذا العصر على ماهو عليه فان لم يعمر ويرتق فلا بد أن يخرب ويذول

رأى الأمير بمذالك ان يصرف عنايته في سبيل إصلاح الأزهر ، وتغير رأيه في حظ الحكومة منه ، وادخل العلوم الجديدة عليه ، حتى أصبح يراها من الفروض المحتمة ، فألف له مجلسا عاليا هو رئيسه في بعض الأحيان ، فقرر المجلس وضع نظام جديد للأزهر ، ودأب اعضاؤه يجمعون نظامات المدارس الأميرية وما كان وضعه المرحوم الاستاذ الامام ، وخلصوا من كل ذلك نظاما جديدا وضعوه ليسير عليه الأزهر ، فكان من عيوبه الكثيرة ان الاساتذة أنفسهم لا يستطيعون السير عليه ، فقد وضعوا فيه علوما جديدة أوجبوا على الطلاب ممارستها ، وأكثروا فيه من العلوم والفنون التي يستحيل على طالب لم يتوفر على تحصيلها من قبل ان يلمّ بها ، وحتموا على من أوشكوا ان ينتهوا من الامتحان تأدية الامتحان فيها ، مع علمهم بأن هذا من الارهاق الذي لا استطاع حمله ، فان الطالب الذي بلغ اثلاثين أو ما فوقها يعسر عليه أن يرجع إلى مدرسة كتب السنة الأولى وبينه وبين الامتحان سنة أو سنتان !! على انه لا يوجد من الاساتذة من يحسن تدريسها بل لا يوجد من ألمّ بها أو زاوها !

سألني أستاذ عهد اليه تدريس تاريخ آداب اللغة ماذا أفضل من التواريخ لإقراءها ؟ ابن خلد كان أم ابن الأثير !! وجاءني أستاذ آخر يسألني ما هي المحاضرات ؟ ! وربما كان السائلون لغيري أكثر ، على أنهم يسألون عن موضوعات

ليست غريبة عنهم فما بالك بعلوم الطبيعة والرياضة ونحوها ؟
جاء البرنامج الذي وضعه حاويا أكثر من عشرين فنا ما بين قديم وجديد
وأوجبوا على طلاب السنة الثانية عشرة ان يمتحنوا فيها فكأنهم بهذا فرضوا عليهم
أن يعودوا الى السنة الأولى ! ووزعوا العلوم على من لا يحفظ حتى أسماءها ! فمن
ذلك أنهم فرضوا على ضرير ان يقوم بتعليم الاملاء ! وأرادوا على تدريس الرياضة
من لا يحسن القواعد الأربع ! وهكذا كانت توزيع سائر العلوم على المدرسين
فكانوا كلما توغلوا في تطبيق النظام ازداد التهوريش والاضطراب
وأى الطلاب انهم مسوقون في طريق غير معبدة ونهج غير سوي ، فاستيقنوا
أن النهاية ستكون شرا من البداية ، وكان كثيرون منهم ممن حضروا دروس الأستاذ
الامام عرفوا انها ان الانسان أملا في هذه الدنيا يسعى اليه ، وغاية يقصدها بطله وعمله ،
ورأوا أنفسهم انهم ليسوا من ذلك في غير ولا فقير ، فاضطربت أفئدتهم وحزنت قلوبهم ،
اطلوا على مستقبل مظلم ، مسبوق بالنكد والارهاق ، ورأوا الأهواء تصرفهم ،
وبؤس العيش يؤذيهم ، فهبوا من رقتهم ، واستيقظوا من غفوتهم ، ونهضوا نهضة
من نفخت فيه نسمة من الحياة كانت ساكنة ولا محرك لها فحركتها حرارة هذا
النظام وبرودة تنفيذه من جهة فصارت ريحا عاصفا

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الاذلال غير الحي والود
من ذا الذي كان يظن ان طلاب الأزهر سيخرجون من الأزهر بقبضهم
وقبضيتهم وهم بضعة آلاف ليعلموا للملا ان مامهم فيه لا يرضى به من كان إنسانا ،
وان ما أوتوه من النظام الجديد انما هو نتيجة افكار تستطيع ان تحشر الموتى
والتخلف معا ، ولكنها لا تحسن النظام بل لا تعرف طرقه ؟
خرج الطلاب من أزهرهم حذرا ما أريدوا عليه ، وابتغاء الوصول الى خير
منه ، فطوفوا في الشوارع ، وذهبوا الى الجزيرة فخطبوا ، وكان مظهرهم من أجل
ما تقع عليه العين ، وكان أحسن مامهم فيه نظامهم وأناتهم ، فقد كانت صفوفهم
متوازية ، وأبصارهم خاشعة ، تأدبا بأدب الدين ، وتخلقا بأخلاق حملة العلم .
سر الناس بهذا المظهر الجميل أو المظاهرة كما يقول الكتاب ، وارتاحت قلوبهم

إلى الأزهرين بعد أن حكموا عليهم بالموت الزوأم ، ولكن القيمين عليهم من المدرسين والمفتشين ربيعوا وغضبوا ، وصوروا الحال للأمبر بعكس ماوقع ، فأوهموه أن فريقا أو أفرادا حقيرين « وكلمتهم الحقيقية : هلافت ا » قاموا يصخبون ويصيحون ، وأن تأديبهم من السهولة بمكان ، فلم يحفل الأمبر بتأديبهم ، ولم يستجب لقولهم ، ولكن ظهر بعد ذلك غشهم لأنفسهم وللأمبر ، ورأوا من اتحاد الأزهرين وصدق عزيمتهم أكثر مما عندهم من القسوة والصلف ، وإن الأمر واقع ماله من دافع ، فلم يزدحم ذلك إلا تشددا وعتا ، ظانينهم أن الشدة تفرق جمعهم ، وتحل عرى اتحادهم ، فجاءوهم رجال الشرطة وركبائها ، فأحاطوا بالأزهر من كل جهة ، وسدوا من دون طلابه كل منفذ ، حتى أن فريقا منهم لم يرض بما دون التحرش بقاله وأعماله ، فابن من هذا تهديد المقاربة الذي عده الأمبر بدعا ؟ ولكنهم ألفوا الطلاب مدربين بالأناة والصبر ، معتصمين بحجة التوعدة والسكينة ، فما استطاعوا حملهم على ما يكره من مثلهم ، ولا إرادتهم على غير ما أرادوا أنفسهم عليه ، لم تقف الحكومة موقف الحكمة أمام حركة الأزهرين ، بل وقفت شاخصة ببصرها كن تعرض أمامه أنواع من الصور المتحركة ، ولم تحفل بمطالب الأزهرين الذين اضطربوا عن حضور دروسهم رجاء نيلها ، على أنه لم يكن من العسير اجابتهم إلى بعضها ، ولو أنهم اجيبوا لرضوا وشكروا ، وتنازلوا عن المطالب الأخرى واعتذروا طلبوا المساواة بين المعاهد الدينية في حقوق الطلاب ورواتب المدرسين حتى لا يكون راتب المدرس في الأزهر مئة قرش وراتب ضريعه في الاسكندرية ثمان مئة قرش كما هي الحال الآن مع أن الأزهر رأس المعاهد الدينية . فمن ذا الذي لا يقول انهم طلبوا حقا والتمسوا مساواة وعدلا ؟

طلبوا مدرسين من أرباب الكفاءة والاضطلاع ولا سيما الذين يعهد إليهم تدريس العلوم الجديدة التي لا يقدر غير الضليع بها على تدريسها ، وإن تلقى إليهم على نحو القائما في المدارس النظامية ، وأن ينفذ النظام الذي وضع لهم بالتدريج اتباعا لسنة الارتقاء الطبيعي ، لا أن يدفعوا به في صدورهم مرة واحدة ، ويحملوا على الجري عليه كلمة كلمة ، أفليسوا بهذا المطلب محقين ، وبه جديرين ؟

طلبوا أن يكون لمللة الشهادة الابتدائية والثانوية منهم حظ من الالستخدام في المحاكم الشرعية والالوقاف والخطابة والوعظ وغير ذلك من الوظائف الحقبيرة . فهل هم بذلك مخطئون بما طلبوا ؟

طلبوا أن لا يحمل الطالب الذي يؤدي الامتحان في هذا العام على تأدية الامتحان في العلوم الجديدة التي لم يدرسها ولم يعرف من امرها شيئاً ، لأن حملة على اداء الامتحان فيها من الالرهاق والظلم الين فهل اساءوا وظلموا !

طلبوا ان يكون لهم احترام امام ذوي السلطة ، وأن يسمح لهم بالسفر بنصف اجرة في السكك الحديدية ولشيوخهم من دون اجرة مساواة لهم برؤساء الاديان الاخرى ، فهل كانوا بذلك بدعا ، ام اتوا امراً إذا ؟

تلك معظم مطالب الازهرين فأني منصف بل اي مححف يبيح لنفسه الالعاء بأنهم ليسوا احق بها واهلها ، رأوا أنهم هضموا وظلموا ، واعطي اخوانهم في الاسكندرية فوق ماسألوا ، فطلبوا المساواة بهم . ورأوا أن العلوم وزعت على مدرسين لم يحيطوا بها علما ، بل لم يعرفوا لها حدا ولا رسما ، وقد مر على القارىء ان الإملة عهد في تدريسه الى اعنى ، والرياضة الى من لا يعرف لها مسمى ، فكيف مع هذا لا يكونون محقين في طلب المدرسين الالكفاء ، والعلماء الفضلاء . رأوا ان الحامل منهم للشهادة الابتدائية اسوأ حظا من حجاب المحاكم ، وغيرهم من مزاولي ما هو دون مهنتهم فطلبوا ان يكون لمن يحملها نصيب في بعض الوظائف الحقبيرة ، فهل هم بذلك ظالمون ؟ رأوا انهم ممتنون مزدرون وان واحدهم اذل من قيسي بجمص ، وان أندادهم واقائلهم من ارباب الديانات الاخرى لهم من الاحترام عند رجال الحكومة ومن الميزة في بعض الشؤون ما حملهم على الطلب بأن يعاملوا مثلهم ، فهل يعد هذا من الالفتيات ! وهنا لك مطالب أخرى ما كان لهم أن يطلبوها وان كانت حقا وعدلا ، كطلب تعيين شيخ الجامع الازهر بالال انتخاب وغير ذلك ور بما يكونون طلبوا كل ذلك ليجابوا الى بعضه ، على ان الحكومة تمزأت بهم وسخرت منهم ، فكان ذلك داعية لصدور حكم المجلس العالي للازهر عليهم وهذا هو حكمه بعد ذكر الالاسباب :

« قرر المجلس ما يأتي : حرمان طلاب العلم بالجامع الازهر من المرتبات

والجرايات والامتيازات الحائزين عليها بحسب تبعيتهم للأزهر ويمنعون من دخوله !! الخ، جوزي الأزهريون بهذا الحكم لطلبهم تلك المطالب، وسيحفظه التاريخ الذي لا ينسى شيئاً، ويكون لمن بعدنا حكم عليه واي حكم !!

لم ارفيا رأيت في هذه البلاد امرا عنت به الامة واضطربت له عنايتها واضطرابها بأمر الأزهرين، وليس لهذا من سبب الا الشعور العام بأنهم مضمطون مضطهدون، فكان اندفاع الامة في الرغبة الى الحكومة والالتماس من الامير بمعاملة الأزهرين بالرفق والحسنى، وإجابتهم الى ما طلبوه بحق وعدل - كانت ذلك سببا لنهضة النظر ورغبتهم الى الامير ان يصفح عما عده ذنبا للأزهرين، وقد كان ذلك وقرر إرجاع الأزهر الى قانون سنة ١٣١٤

سكنت نائرة الأزهرين وارتاحت نفوسهم الى هذا القرار، وأفرخ روع الأمة بعد القلق والاضطراب، ولكن قام فريق من اصحاب الجرائد وكتابها الذين يتكلمون بغير وجدانهم، ويكتبون بموثرات كاذبة يخلقونها لأنفسهم - يصيحون ويصخبون متملين من هذه الخبة، متبرمين من سوء النتيجة، ناعين على جرائد أخرى كانت تشد أزر الأزهرين لأنها كانت تؤيدهم ذلك التأيد، وذلك ليوهما الأمة ان الرجوع الى ذلك القانون خسران ميين !!

لوم يكن في الرجوع الى ذلك القانون إلا حصر سلطة الأزهر في مجلس ادارته لعد هذا وحده غما واي غم، على ان نظام القانون القديم الدراسي كان وضعه على نمط يجعل للطلاب حظا من العلوم الجديدة من دون أن يرهقوا أو يحملوا على ما لا يستطيعون، فقد كان القانون يخول لمن كان في السنة السادسة الاختبار في الامتحان في العلوم الجديدة، فله ان يمتحن فيها اذا شاء ويكون اذ ذاك مقدما على غير الممتحن فيها، وذا حظ من الجوائز المالية التي كانت خصصت لمن يبرز فيها. فأين هذا من القانون الجديد الذي يقضي حتى على من كان في آخر سني الدراسة ان يمتحن في تلك العلوم كلها؟ ليس من يملك على ما لا يستطيع حمله بالقصر كن يسوقك الى صنع المستطاع الهين بما في وسعه من أنواع الترغيب والتحييب، وهذا ما جعل الطلاب يتلقون القانون القديم بالرغبة والجدل، وحملهم على النفور من الجديد بالكراهة والسخط، وذلك

أمر متغفّر والمثل يقول « ان رمت ان نطاع فسل ما استطاع »
يقول المتففقون اللاعظون إن نفور الأزهريين من النظام الجديد دليل على
جهودهم ، وأنا أقول إنه دليل على استقلالهم ونهضتهم ، وحجة أولئك زعمهم ان
الأزهريين لم يرتضوه لانفسهم لانه يحملهم على ممارسة العلوم الجديدة وهم لا يشاءون
ان يضربوا بسهم فيها !! وسلطاني انهم رفضوه لكونه مشوها مضطربا لا يمكن السير
عليه ، وقد مر على القارىء الاماع إلى شيء من مساوئه ، أما العلوم الجديدة فانهم
عرفوها أيام كان كثيرون من واضعي النظام يحاربونها ، ويرمون مزاويلها بالتضليل
والتكفير . فالرياضة والهندسة والهيئة والميقات وتقويم البلدان والتاريخ — كان يدرسها
الأزهريون ولكنها كانت تدرس لمن لم يتجاوزوا السنة الرابعة الدراسية لا كإحدى النظام
الجديد بإرغام جميع الطلاب عليها !

الفرض الأول من الأزهر تخرج الاختصاصيين في علوم الشرع ، ومن الضروري
ان يكون العالم الشرعي ذا إلمام بالعلوم الجديدة لأن الجاهل بها في هذا العصر هو
والأعمى شرع ، ولكن من الرعونة والبلاهة ان يراد من العالم الشرعي ان يكون إحصائيا
في الرياضة والطبيعة والهندسة وغير ذلك ،

ألا ان الإصلاح الحقيقي لا يكون بزيادة العلوم ووضع القوانين ، وإنما يكون
بالرجال الأكفاء الضليعين الذين يزنون الأشياء بميزانها ويضعون كل شيء في موضعه
اذا كان لديهم المال الذي يقتضيه ذلك الإصلاح . وإن بين ظهرانينا كثيرين من
هؤلاء وهم من متخرجي الأزهر وموظفي الحكومة ، فإذا على الحكومة لو عهدت الى
هؤلاء إصلاح الأزهر — وهم القادرون وحدهم على ذلك — اذا كانت تريد الإصلاح !
واحسن ما نتخّم به هذه المقالة الثناء على الشيخ حسونه النواوي الذي ظهر من
استقلال فكره وكأل رجوليته ما ذكرنا بكلمة الاستاذ الامام فيه « انه افضل من يليق
لمشيخة الأزهر » بل ما حمله على الاستقالة لأنه لم يجب الى مطالب الأزهريين اذ
سألها ، فكان ضنيينا بكرامته ان تهان ، وبارادته أن تتلاعب بها الأهواء ، وهذا هو
الرجل الفذا كثر الله فينا من أمثاله
حسين وصفي رضا

ندوة العلماء الهندية

﴿ تأسيسها داراً للعلوم ﴾

ان لندوة العلماء في الهند مساعي في خدمة الدين الخفيف جليلة، وسعياً في خير النوع الانساني مبروراً، وقد اتجه عزمها الى انشاء مدرسة كبرى للعلوم (جامعة) دعنها (دار العلوم) واحتفلت في أول شهر ذي القعدة الماضي بوضع الحجر الأول من اساسها، وقد قالت في ذلك مجلة البيان التي تصدر في مدينة لكنؤ (الهند) :

« عقدت حفلة ندوة العلماء في ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ نوفمبر الفارط في مدينة لكنؤ قامها المسلمون من كل الاصقاع من الامراء والعلماء والوجهاء، وكانت الحفلة بهيجة لم ير الناس مثلها في حسن انتظامها وبلاغته ما ألقى فيها من الخطب الداعية الى نشر المعارف وإعادة مجد العربية في بلاد الهند ومحو المراسم والبدع التي تجري عليها العامة باسم الدين ورفع الخصام الملى واصلاح ذات الدين وتوطيد الاخاء والوثام بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم، وتمت الحفلات ولم يحدث فيها ما يريب ذوي الالباب أو يشين الجمعية المعروفة بندوة العلماء.

وقد اجتمع في هذا الاحتفال جمهور كبير من صنوف الناس فيهم المسلمون والافرنج والهندود وكان بين المسلمين اهل السنة وعلمائهم والشيعة ومجتهدوهم والمقلدون والمستقلون والصوفية والاحناف والوهابية والمتفرنجة. وهو أول اجتماع ديني حفل أهل المدن المختلفة كأنما هو طاقة رياحين مختلفة نفحاتها والوانها

ولما حانت الساعة المعينة اتى الوالى السرجون هويت وقرينته فاستقبلهما اعضاء الندوة واتوا بهما الى الدكة المقامة لجلوسهما فجلسا على كرسيين من الفضة وافتتح الاحتفال بهد ان تلا القارىء آيات من القرآن الحكيم، وقدمت الى الوالى عريضة الخلال فأجاب بخطبة مسبهة اثني فيها ثلى الخطبة التي سارت عليها الندوة من رفع الخصام

ونشر المعارف الحديثة ممزوجة بعلوم الدين وعداء أعضاء الندوة من مخلصي دولته وقام بعد ذلك مع جماعة من وجهاء المسلمين ووضع حجر أساس المدرسة »
وهذا نص المريضة التي قدمت الى الوالي نقلتها عن المجلة الخاصة التي تصدرها الندوة باسمها :

مولاي الاكرم : نحن أعضاء ندوة العلماء نرحب بكم من حيث كونكم نائب الحكومة في هذه الايالة ونشكركم على اجابتم دعوتنا لوضع حجر أساس دار علوم الندوة فيشكركم على ذلك كافة المسلمين فان الندوة كأنها لسان حال الامة ولا يوجد قدر شبر من الارض الا وفيه انصار الندوة وحماها وقد استبان بهذا ما للدولة من التسامح الديني الذي هو من مزايا الامة الانكليزية خاصة والذي هو ملائكة الحكومة وعمودها فان الندوة ليست إلا جمعية دينية

مولاي الاكرم : نحن نستدعي من حضرتكم ان تسمحوا لنا بابداء مطالب الندوة وطوارئها التي من احد مظاهرها الجليلة دار علومنا هذه

مولاي الاكرم : ان المسلمين منذ وجدوا الى يومنا هذا لم تزل فيهم طائفة تلقب بلقب العلماء وهم قادة الحزب الاسلامي في أمور الدين واحكامه والامة كانت تقفو اثرهم وتتبع هداهم في كل ما يمس بالدين ولو في أمور الدنيا وكانوا انموذجا لتمدن الاسلام ومكارم اخلاقه . والامر الذي استوجب وجود هذه الطائفة هو ان ما تقوم به جنسية المسلمين ليست خصوصية الاقليم ولا الشعب ولا الاسرة كما هي للامم الأخرى بل كل من اعتنق دين الاسلام يحصل له كل ما كان للمسلمين قاطبة على اختلاف جنسيته وعشيرته ومبده . ولما لم يكن للمسلمين حزب يختص بدعوة الدين كانت الامة تحتاج الى مثل هذه الطائفة لكي لا يجردوا عن قصد المحجة . وهذا الامر دعا الى أن نشأت طائفة كبيرة من العلماء لا يقل عددهم عن امثالهم في الامم الأخرى ومن مزية امة الاسلام ان العلم كان فيها يكتسب لاجل العلم فقط مع صرف النظر عن كل مرمى وغاية . وما في هذه الامة من احترام العلم والخضوع له والتفاني امر لا تشار كافي امة حتى ان الرؤوس المتزينة بالتيجان كانت تخضع لها كرامة . والحق ان تأخر الامة ما كان الا بعد ما فقدت هذه الطائفة مزاياها فذهب ما كان لها من

المكانة عند القوم وحينئذ حُرمت الأُمة من قيادتها وتبدد نظامها وعند ذلك اشتغلت هذه الطائفة بمحقرات الأمور وبلغ الحال إلى أن رفعت الشكاوي إلى الحاكم السلطانية فقام حينئذ حزب من العلماء لصدّ الخلل وإقامة معالم الإصلاح وكان من أول مظاهره هذه الجمعية المسماة بالندوة، انعقدت حفلتها الأولى في كانفور سنة ١٨٩٣م وفي سنة ١٨٩٨م صادقت الحكومة عليها رسمياً وبلغت حفلتها اثنتي عشرة حفلة اجتمعت فيها العلماء وعامة الناس على اختلاف أهوائهم وأذواقهم - أمام طالب الندوة فتحصر مهماتها في أربعة أمور:

(١) ترقية المدارس العربية وإصلاحها (٢) رفع المحاصيات الدينية (٣) إصلاح أمور المعاشرة والأخلاق (٤) نشر الإسلام وكل ما يتعلق بالمنافع العمومية في بدء الأمر ظهر الترحيب بالندوة من جميع الأُمة كافة فتوسعت حينئذ مطالبها وكان من أول مساعيها أنها اجتهدت في رفع الخصام الحادث في أحزاب الأُمة وإصلاح ذات البين وفازت في ذلك إلى حد لا يستهان به، وكذلك سعيها بتخفيض نفقات عوائد الفرح والالم لم يذهب إدراج الرياح، ثم إن الندوة أقامت دار الافتاء في لكنؤء ومحملاً للإيتام في كانفور ولكن كان أهم مطالبها أمر التعليم، إصلاح ما فسد منه ليكون سبباً لوجود شرذمة تهدي الناس في الأمور الدينية

ومن الدين أن التعليم الصحيح هو الذي يزيل كل داء اعتري الأُمة وحجزها عن سبيل رقيها ونظراً إلى ذلك أسست الندوة في سنة ١٨٩٨م مدرسة سُميت بدار العلوم كانت في أول الأمر مدرسة ابتدائية ثم تحولت إلى كلية في سنة ١٩٠١م وصارت كأنها أساس جامعة دينية ولما كان أمر التربية أعظم خطراً من التعليم أسست دار إقامة للطلبة ولكن كان من شؤم الحظ أن الأُمة لم تقدر مسعى الندوة حق قدره فالفئة القديمة أساءت الظن أن إدخال الفلسفة الجديدة في نصاب التعليم يورث وهناً في الدين! حتى أُلقت كتب ورسائل في تكفير حزب الندوة، وفوق ذلك أن الناشئة الجديدة أيضاً كانت تتقاعد عن الأخذ بنا صرنا فأنها كانت تحسب أن الندوة تقيد حرية الأفكار وكانوا عاجزين عن فهم منافع إحياء العلوم العربية أصلاً ومع أن الندوة كانت هدفاً لسهام كتلة الطائفتين لم تزل لها قدم ولزمت محبتها واختارت

لنفسها جادة وسطا فرتبت نصابا جديدا رجع فيه جانب الادب والعلوم الدينية، ومع ان دار العلوم لم يمض عليها ربح من الزمان انشأت تلاميذ يقدرون على انجال الخطب من غير روية وهذا شيء لم يسبق له مثيل! وكان يهدم اناذرا في إبان الحكومة الإسلامية ايضا وقد اضفنا الى نصاب التعليم الفلسفة الجديدة وكانت هذه بدعة تعد وكفرا في المدارس القديمة، ومما زاد الطين بلة أنا أدخلنا في نصابنا تعليم اللسان الانكليزي لزوما، فكان من ثمرته حرمان الندوة من بعض المساعدات المالية حتى أن بعضا منهم استرجع ارضا كان وقفها على دار العلوم! ولم نأل جهدا في الاستفادة مما لاهل الغرب من الاكتشافات الجديدة في العلوم العربية وخزائنا تحتوي على أكثر ما كتبه المستشرقون في امثال هذه المسائل وعلى كتب غير هذه تصلح أن تكون زينا لكل متحف علمي، وتلامذتنا لهم مزيد شغف في الاستفادة من تلك الخزانة، ويوجد فيهم من يكتب في مجلة الندوة مقالات علمية يستحق التنويه بها

والآن اردنا أن ننشيء لجنة يكون اعضاؤها تلامذة مدرستنا الذين يقفون حياتهم على الفحص عن المسائل العلمية المهمة . وبناء على ما توارثنا من آباءنا لا نأخذ للتعليم اجرة ، وزيد ان نوسع نطاق التعليم حسبما تعيننا على ذلك المساعدات المالية ومن أهم مزايا مدرستنا ان الذين بقوا على الحيادة عن المدارس الدولية لاجل التعصب الديني أو لاجل عدم الثروة لا يجنحون الا الى مثل التعليم الذي اختارته الندوة فانها جعلت تعليمها تحت سيطرة التعليم الديني

ونحن نجريء على ان نعرض على مسامعكم ان دار علومنا مع قلة بضاعتها وقصر باعها اربت على امثالها من كلا النوعين بنوع خاص ، فانهم ابعذوا عن التقشف وبراء من الفخفة الفاسدة . ومع ان مدرستنا لا تقدر على احداث طائفة يصلحون للتوظيف في اعمال الدولة ولكن نحن على ثقة ان مدرستنا تنشيء رجالا يقدرون على اطفاء الثورات الحالية التي تريد امحاء سيطرة الخالق والمخلوق معا - رجالا يكون من شيمتهم الاستكانة للا كابر والمواساة للجار والتواضع للعامة وفوق كل ذلك : الاتقياء للحكومة والخضوع فمدرستنا تنفتح في طلبها روح المسامحة الدينية التي فتحت أبوابها لكل حزب، فلم يعين طلبتنا ولا اساتذتهم بالمشاجرات التي حدثت اليوم بين الفتيين العظميين من المسلمين وعلماء

لجئنا لا يزالون يدعون الناس الى الخير والصلاح فخرجوا من دار علمنا والمدارس التي تتبع
سبيلها انها تخرج طلبة سيسودون الامة ويملكون ازمها مرة اخرى ويحسمون التشاق
ويشقون عصا النفاق، ويصبحون لتوسعهم في المعارف الحديثة والقديمة واسطة موصلة بين
الفئة الناشئة وحزب التمهق العتيق، ونحن على يقين من ان المسلمين كما يسلم اذعانهم لحكومتهم
يزيدون من هؤلاء العلماء الناشئين طاعة واطيادا للحكومة. والآن تقدم الى جنابكم
ازكي التكرات حيث تفضلتم علينا بقطعة من الارض لترفع عليها قواعد مدرستنا
وبعد ذلك نحن نشكر الذين بلغنا من مساعدتهم ومساعدتهم الى هذا الحد ونخص من
ينهم أولا سمو النظام أمير (حيدرآباد) الذي نستغفر من جود امارته من نهومة
أطفالنا وان لم نرزق زيارته حتى الآن، وبعد ذلك نوذي مقترض الولاء الى سمو
الملكة اميرة بوفال التي تمنحنا وظيفة اعانة سنوية ونبت ايادي اماره هابو بالفور التي
رفدت اميرتها غير ماتسمح به امارتها سنويا بمنحة تساوي خمسين الف روبية، هياتنا
لنشرف بان تضع سعادتكم حجر اساس كليتنا ونرى من واجباتنا ان نذكر من غير
هؤلاء الكراء الذين اخذوا بايدينا وساعدونا بما توخينا من الخير كرنل خان بهادر
هد المجيد خان وزير خارجية اماره بلالاه ونحن نشكر المستر أي -ال- ساندروس -
والستراس ايج بطارسي .اي . اي والمسترال ام جابلتك الذين نصرونا بتحصيل
القطعة التي انتمم بها علينا . وفي الختام نشكر جنابكم من صميم افئدتنا حيث نصرتمونا مما
ثمنم لنا من اعنة فضلهم ونعيد مرة اخرى تشكرنا الذي تقدمه الى جنابكم حيث قبلتم
ان تضعوا يديكم الكريمة حجر الاساس . والآن نسألكم ان تأخذوا بهذا العمل الخطير
الذي يبقى على كرا الدهر .

﴿ لقب حاكم المسلمين ﴾

لصاحب الامضاء

رأيت في بعض جرائد الاستانة كلاما عن الخلافة واتهام خديو مصر
بالسعي في التلقب بها الى نحو ذلك ولا أدري أي عقل صياني يقبل تلك المقترحات
الباردة ! ان لقب الخلافة لقب شريف وله شروط والخلفاء الحقيقيون الذين هم
خلفاء بدون شك قد مضوا رحلهم الله تعالى كما في الحديث المشهور « الخلافة بعدي

ثلاثون ثم يكون ملكا عضوا « وفي رواية « ملكا وجبرية » انتهى باللفظ أو بالمعنى فمن كان بعد ذلك من علوج أمية أو فساق بني العباس فليسوا خلفاء بل هم ملوك ولم يستثن إلا من استقام على الطريقة المثلى ولم تغن عنهم قرشيتهم شيئا ولا ديلمتهم ثم ماذا جني المسلمون من لقب الخلافة؟ إنهم لم يجنوا غير الاقتراق والقلقل ومنذ استشرى سلاطين آل عثمان لهذا اللقب فتحوا على أنفسهم أبوابا من التعصب بدون مقابل، قل لي أي فائدة حازوها بهذا الاسم الضخم؟ أي مملكة افتتحوها بهذا اللقب، أي حق استحقوا بهذا المنصب، اني لا اعرف شيئا وما اراهم استفادوا غير نفرة مجانين الملوك وزيادة التفريق الذي اودى بنا . السلطان مفروضة طاعته في المعروف، حرام الخروج عليه لغير سبب مسوغ . كل هذا معلوم فماذا يجب غير هذا له لو كان خليفة مستكمل الشروط؟ اننا لو اردنا أن تقتصر لأقل ملوك المسلمين الآن على ما كان لابي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم شكوا في استحقاقهم له وارجعوه لم يقبل أحد منهم ذلك مع أن اعلامهم كبا لا يقوم للمسلمين بعشر معشار ما قاما به . لا اقول ان ذلك الاوان مساو للوقت الحاضر يكفي فيه ما كفى في ذاك لا بل اقول بعد مراعاة الأزمنة والاحوال

إذا يجب النصيح والمساعدة لسلطان المسلمين على كل أحد منهم بما قدر عليه سواء سماه امير المؤمنين أو الخليفة أو السلطان أو سلطان كذا أو امبراطورا أو ملكا أو فلان بن فلان بلافرق . ومن المحسوس أنه ليس للمسلمين سلطان أحق وأولى بالاعتبار من السلطان عبد الحميد خان زاده الله توفيقا فالنصح له بعد النصيح لله وكتابه واجب وكذا الدعاء له لكن لا على نحو ما يفعله الجهلة وخطباء المنابر في الدعاء أو بان يقدموا امامه ما يكون سببا لعدم قبوله من المبالغات والنعوت الكاذبة وما يدل على الخيلاء والابهة والكبرياء فكل ذلك بدعة ووجها الوسواس الخناس عليهم وعمل بها علماء سوء عباد الدرهم والدينار . والتواضع والخضوع والصدق في الدعاء والاتباع فيه لما جاء عن سيد المرسلين من أعظم أسباب قبوله . هذه آرائي أعرضها للتمحيص واقترح على خطباء المنابر أن لا يزيدوا على قولهم عبدك الفقير اليك فلان وكأني بهم اذا عملوا باخلاص وقد رأوا علامات الاجابة والله الهادي

سنغافوره س . س . ي

﴿ التاريخ الهجري الشمسي ﴾

عند ما شرعت بوضع النظام أو القانون للجمعية الخيرية الإسلامية في طرابلس الشام خطر لي أن تكون سنيتها هجرية شمسية وإن يكون أول سنتها شهر مارث (آذار) كالسنة المالية العثمانية وذلك في القانون ثم خطر لي أن أذكر هذا التاريخ في المنار إحياء له مع ذكر السنة القمرية التي عليها المعول في الأمور الدينية للاستغناء فيها عن الفلكيين والحاسين . وقد جاء في حساب أن سنة ١٩٠٩ الميلادية توافق ١٢٨٥ هجرية شمسية لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولد سنة ٥٧١ بعد ميلاد المسيح صلى الله عليه وسلم وبعث على رأس الأربعين وأعلن بعثته بعد ثلاث سنين من نزول الوحي عليه أول مرة وهاجر بعد عشر سنين من إعلان الدعوة فتمتلك ٥٣ سنة تجمع إلى سنة الولادة فتكون معها ٦٢٤ تطرح من ١٩٠٩ فيبقى ١٢٨٥ ولكن رأيت بعد ذلك أن الدولة العلية عزمت على أن تجعل حسابها المالي على السنة الهجرية الشمسية وأن سنة ١٩٠٩ وافقت على حسابها ١٢٨٨ هجرية وكن الحاسين الذين قالوا بذلك لم يحسبوا سني الفترة بين أول الوحي وإعلان الدعوة وهي ثلاث على المشهور فيجب أن يتقوا مثل غلط الصاري في تاريخ الميلاد فقد أخطأوا به بعدة سنين ثم لم يمكنهم الرجوع إلى القمواب بعد أن ملئت الكتب والدفاتر بالخطأ

﴿ أنتم ما أخطأ من مجلس المبعوثان ﴾

- (١) إصلاح نظارة الأوقاف وجعل أموال الأوقاف التي تراعى شروطها والتي جهات شروطها والتي وقفت على غير مشيئة كمنها لأجاء العلم والدين ونشرها في جميع البلاد وسنفضل كانت في وقت
- (٢) إصلاح نظام الشرعية وهم أن كل هذا الأسانيع جعل الخوا كالتشريعية كالتنظيمية مؤلفة من دنيين وعلماء وتأليف كذب على كالجور والحق بوجهة بغيره واستثنائية وتبعية (مخاطم نقص وإبرام) وتزييف روثب إخبارية كصفية كالتربية والكذب ومنعهم من أخذ الرسوم

(٣) جعل اللغة العربية محتمة في جميع مدارس الحكومة وإنشاء مدارس
معلمين ومدارس زراعة

﴿ ذيل لكشف الظنون ﴾

كنت شرعت منذ ست عشرة سنة بتأليف ذيل لكتاب (كشف الظنون
عن اسامي الكتب والفنون) تصنيف الملامة منلا كاتب جلبي المعروف بحاجي
خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ جمعت فيه ما فاتته ذكره من أسماء الكتب والمصنفات مع
اسماء المؤلفات التي حدثت بعد عصره في اللغات الثلاث الشرقية الى يومنا هذا .
وجعت في ذلك الى كتب التراجم وفهارس المكاتب العمومية وبعض المكاتب
الخصوصية وضمنت الى ذلك الكتب التي وقفت على اسمائها في أثناء مطالعتي لكتب
شتى مختلفة المواضيع وأسماء كتب كثيرة دخلت في يدي مع ما وقفت عليه من اسماء
المؤلفات التي اعلنت الجرائد والمجلات طبعها وقد احببت ان اطبع هذا الذيل
الحافل اجزاء متتابعة كل جزء مائة صحيفة بقطع الاصل بحيث يصدر في كل شهرين
جزء منها . وبما انني قد ذكرت في كتابي هذا كثيرا من مؤلفات المعاصرين
احببت ان لا يفوتني ذكر كثير منها مما لم اطعم عليه لتعذر الاحاطة فأرجو من
فضلاء مصر وكتابه وادبائه ان يتحفوني في مدة شهرين ونصف باسماء مؤلفاتهم
ومؤلفات اسلافهم كأبائهم واقربائهم مع ذكر شيء من خطبة الكتاب ونبذة من ترجمة
مؤلفه وتاريخ ولادته وان كان متوفى فتاريخ وفاته ومحل طبع الكتاب ان كان مطبوعا
وسنة طبعه . وبما انني رتب هذا الذيل على حروف المعجم كالأصل فاذا أخر أحد
اوسال اسماء مؤلفاته الى ما بعد الاجل المعين وكان فيها كتاب يدخل في الحرف الذي تم
طبعه فاتني ذكر ذلك الكتاب . وأرجو أيضا من أصحاب الجرائد والمجلات ان
يتحفوني باسماء جرائدهم ومجلاتهم وتاريخ انشائها وبيان وصفها إجمالاً حيث اجعل
ذكرها والتنويه بشأنها خاتمة للكتاب وانني اسلف كل من تفضل عليّ بآثاره كل
شكر جزيل وثناء جميل .

يخبرني من شاء هذا العنوان : (محاسب المطارف في بيروت جيل العظم)